زيتون

محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة

السنة الثالثة | 3 أيلول 2016

العدد
138

www.facebook.com/ZaitonMagazine | zaiton.mag@gmail.com | www.zaitonmag.com

تركيا والأردن تحرمان السوريين من رؤية أسرهم

داريا اليوم: أزمة جديدة أم حرب مفتوحة؟

1.5 مليون ليرة كلفة البئر والحفر العشوائي ينذر بكارثة بيئية 4

من حمص إلى الرقة ثم الهرب ريم وعائلتها وكابوس داعش 7

نحن أمة لا يستهويها الجمال في كل ضروب الإبداع.. حوار 13

الاجتماع الأول لمجالس المدن في ادلب

عقد مجلس محافظة إدلب يوم الثلاثاء الفائت، الاجتماع الأول لمجالس المدن والبلدات، وذلك بحضور رئيس مجلس المحافظة، وأعضاء المكتب التنفيذي، وبحضور أغلب أعضاء مجالس المدن والبلدات.
وقال عضو مجلس معرة النعمان الذي حضر الاجتماع إنه ساد جوّ من الإيجابية الرغبة في توحيد الجهور في مجال العمل المدني.
وخلص الاجتماع إلى تشكيل لجنة مركزية للرقابة والتقييم على عمل مجلس المحافظة والمجالس الفرعية، إضافة لتشكيل لجنة تخطيط مركزية على مستوى المحافظة لرسم سياسة عمل المجالس المحلية وتحديد علاقتها مع المنظمات والجهات الاخرى، كما تم الاتفاق على مكان الاجتماع القادم.

الدولار يتأرجح والبنزين يتجاوز 800 ليرة

ارتفع سعر مادة البنزين في ريف إدلب لأعلى مستوى له، حيث وصل في ريف إدلب الجنوبي ل800 ليرة سورية، مع تفاوت في السعر أيضاً ليصل في بعض المناطق ل1000 ليرة.
وأفاد مراسل زيتون في ريف المحافظة أن حالة من الاستياء سادت سوق الشراء وقد عزى أحد الباعة في ريف إدلب الجنوبي هذا الغلاء لكون المعارك قريبة من طريق "أبو دالي" الذي يعتبر الممر الوحيد لهذه المادة وقال "هذه حالة طبيعية في كل مرة تحدث فيها معركة".
في السياق ذاته شهد سوق صرف الدولار الأمريكي انخفاضاً صباح اليوم، في ريف ادلب، بعدما وصل خلال الأيام الماضية لـ 560 ليرة للدولار، حيث سجل في مدينة كفرنبل في تعاملات الشراء 512 ليرة، و517 ليرة في المبيع.
إلى ذلك حافظت أسعار المحروقات على ثبات سعرها منذ أيام عدّة، حيث بلغ سعر ليتر المازوت المفلتر 210 ليرة، والمازوت النظامي 300 ليرة، بينما وصل سعر البنزين النظامي لـ 550 ليرة والبنزين المكرر لـ 300 ليرة، في حين وصل سعر ليتر الكاز الأبيض لـ 225 ليرة، وبلغ سعر اسطوانة الغاز 5700 ليرة.

حاويات جديدة في شوارع معرة النعمان

يستمر المجلس المحلي في معرة النعمان بتوزيع حاويات جديدة، في شوارع المدينة، وقد بلغ عددها ١٥٠ حاوية، وقال المجلس المحلي عبر صفحته في فيسبوك: «لابد من التنويه إلى بعض الأمور الواجب مراعاتها وتوفرها لاستمرار الأعمال الخدمية للمجلس المحلي وضمان عمل آلياته ومن أهمها الالتزام برمي القمامة في الحاوية وليس بقربها وعدم رمي الأوساخ في المنصفات أو زوايا الطرق».
ونوّه المجلس أن هذه الأمور باتت من أبرز المشاكل المزعجة للمواطنين، أيضاً ولاستمرار إمكانية تقديم الخدمة ونظراً لعدم وجود مورد مالي للمجلس المحلي يكفيه لتغطية مصاريف النظافة من عمال وآليات ومصاريف اعمال الصرف الصحي وغيرها سيتم العمل على جباية رسوم الخدمات وذلك في القريب العاجل والتي هي رسوم بسيطة واجبة يدفعها كل مستفيد من الخدمة للمساعدة في استمرارها».

مكتب إدلب التنفيذي يتفقد مشكلة بيئية في السيحة

أجرى أعضاء المكتب التنفيذي في محافظة إدلب جولة باتجاه ريف سراقب الشرقي عند منطقة "السيحة" تفقدوا فيها الأوضاع الميدانية والإنسانية للأهالي، وتم التعرف، بحسب مجلس المحافظة، على أبرز المشاكل والمعوقات التي تحيط بالمنطقة، بعد إجراء استبيان تضمّن آراء الأهالي حول مشكلة الصرف.
وقال مراسل "زيتون" إن المنطقة هي تجمع ومصب لنهر "قويق" الموجه إليه مياه الصرف الصحي من حلب وادلب في مساحة الحوض المنخفض التي تبلغ 4000 دونم، وفي حال الذروة وانهيار السواتر تغمر مساحة 6500 دونم حيث يبلغ ارتفاع الساتر الترابي 5 متر فقط.
وتابع المراسل نقلاً عن مصدر محلي في المنطقة: في حال انهيار الساتر سيؤدي لغمر اكثر من 10000 دونم من الأراضي إضافة لإغراق بعض المنازل في القرى المجاورة، كـ "تل الطوقان، وتل السلطان".
ويؤدي ذلك لخسارة كافة المحاصيل الزراعية، حيث أن المنطقة تزرع قمح ونحن بأمس الحاجة لهذا المحصول.
عدا عن أن المستنقع يتسبب بنمو وتكاثر العديد من الحشرات الناقلة للأمراض وخصوصاً اللاشمانيا الافة المنتشرة بقوة في المنطقة.

الدانا بشوارع جديدة وشبكة للمياه في أطمة

انطلق قبل أيام مشروع استبدال أنابيب خطوط الإسالة القديمة لشبكة المياه، في بلدة أطمة الحدودية، وذلك بأنابيب ذات أقطار أكبر لتحسين ضخ المياه وإيصالها بشكل جيد لجميع الأهالي وخاصة الذين يقطنون على أطراف القرية، بحسب ما أفاد المجلس المحلي.
وأوضح المجلس أن هذا العمل يجري بالتشارك بين المجلس المحلي وبرنامج تمكين، ونوّه المجلس إلى ضرورة اتباع الأهالي للتعليمات الخاصة، وعدم الحفر العشوائي الذي قد يؤدي إلى ضرر عام يشمل خطوط عدّة.
وفي الدانا أقامت منظمة أمان وعدالة مجتمعة، قبل أيام، برعاية مركز شرطة الدانا وبالتعاون مع المجلس المحلي في المدينة بمشروع تزفيت الطريق الرئيسي الشرقي.
وقال المجلس المحلي للدانا: «نهيب بالإخوة المواطنين عدم الرضوخ لأصحاب النفوس الضعيفة برفع الأجار ونؤكد عدم حصول المجلس المحلي على اي مبلغ من المواطنين في الدانا وأنه كامل الدعم من مشروع أمان وعدالة مجتمعية».
وجاء هذا الكلام ردّاً على شائعات انتشرت بأن المجلس ينوي تحصيل جباية بهذا الخصوص، إلا أن المجلس سرعان ما دحض تلك الشائعات.

فرن جرابلس إلى العمل من جديد

أعلنت لجنة «إعادة الاستقرار» مساء الخميس، إعادة تأهيل فرن «جرابلس» بعد توقفه عن العمل لأيام نتيجة الاشتباكات الدائرة هناك، والتي أفضت بسيطرة الجيش الحر على المدينة وطرد تنظيم داعش منها.

وبدأ بإنتاج مادة الخبز، عقب توقفه عن العمل نتيجة نقل تنظيم داعش معظم معداته، قبل انسحابه.

وقال رئيس «اللجنة» منذر السلّال: إن إعادة تأهيل الفرن اكتملت بعد تأمين المعدات اللازمة، وخاصةً قطّاعة العجين، وبدأ العمل بتشغيل الخط الأول، على أن يكون بقدرة إنتاجية 5 طن من الطحين يومياً.

وأوضح «السلال» أن اللجنة ستجتمع في المدينة، اليوم الجمعة، بعدة هيئات لتأمين المساعدات الإغاثية للمدينة، منوهاً إلى زيارة وفد تركي لجرابلس قريباً، وبرفقته مواد أساسية، بينها مواد غذائية، وألبسة، وغير ذلك، وفقاً لقوله.

السوريون بانتظار فتح باب الهوى لإجازة العيد

كشفت مصادر مطلعة في الحكومة التركية أن إجازة عيد الأضحى للسوريين هذا العام 45 يوماً على عكس الإجازات السابقة التي كانت تعتمد على إجازة مدتها عشرة أيام فقط.

وقال رئيس مكتب العلاقات التركية السورية، حسين يوماشاق إنه بعد إجتماعهم مع والي هاتاي يوم أمس أكد على منح إجارة للسوريين الراغبين بإمضاء فترة العيد ومابعدها في سوريا، حيث سيفتح معبر باب الهوى أبوابه إعتباراً من يوم الإثنين القادم الموافق لتاريخ 5 أيلول من هذا العام أي قبل سبعة أيام من عيد الأضحى ليغلق المعبر أبوابه بعد ذلك أول أيام العيد لمدة ثلاثة أيام وبعد ذلك يمنح السوريين فترة 45 يوم للعودة إلى تركيا في الوقت الذي يرغبون ضمن هذه الفترة.

وأكد معاون رئيس البلدية على ضرورة تسجيل السوريين أنفسهم أثناء العبور إلى سوريا ضمن حرم المعبر التركي وذلك ليستطيعوا العودة إلى تركيا كون أسمائهم أدرجت في قوائم المستفيدين من هذه الإجازة.

أعلنت إدارة معبر "باب الهوى"، الثلاثاء، عن بدء استقبال زيارات السوريين المقيمين في تركيا إلى سوريا بمناسبة عيد الأضحى.

وأوضحت أن استقبال الطلبات، سيكون ابتداءً من يوم الاثنين الخامس من شهر أيلول المقبل، وحتى يوم الأحد الحادي عشر من أيلول، وذلك يومياً من الساعة الثامنة صباحا، وحتى نهاية الدوام.

وأشارت " إدارة المعبر"، إلى أن حركة المغادرة من الجانب السوري إلى الجانب التركي ستتوقف خلال هذه المدة.

وتجدر الإشارة إلى أن 270 ألف و380 لاجئ سوري من أصل (مليونين و749 ألف و140) لاجئاً، يعيشون ضمن مخيمات اللجوء في تركيا، بينما يتوزع مليونين و478 ألف و760 في العديد من الولايات التركية، وفقاً لمعطيات مديرية الهجرة التابعة لوزارة الداخلية التركية.

مجلس حماة يوجّه نداء استغاثة ومشفى كفرزيتا خارج الخدمة

أطلق «مجلس محافظة حماة الحرة»، يوم أمس، نداء استغاثة إلى المنظمات الإغاثية بخصوص وضع النازحين في المحافظة، وشكّل المجلس غرفة طوارئ لاستيعاب المدنيين الذين غادروا قراهم على خلفية المعارك والقصف بريف حماة الشمالي.

وجاء في بيان صادر عن المجلس إن المجلس يتوجه بنداء استغاثة إلى كل المنظمات الإغاثية والجهات المانحة للاستجابة الطارئة لاستيعاب عشرات آلاف المدنيين النازحين من مناطقهم إلى الشمال «الأكثر أمناً»، معلناً تشكيل غرفة طوارئ من أبناء «المناطق المحررة» حديثاً في ريف حماة لمساعدتهم.

وفي كفرزيتا، خرج «مشفى كفرزيتا التخصصي» بالريف الشمالي عن الخدمة بشكل كامل، بعد استهدافه بعدة غارات شنّها الطيران الروسي، ظهر أمس الخميس، حسب ما أفادت الصفحة الرسمية للمشفى على فيسبوك.

وقال أحد كوادر المشفى في حديث لـ «زيتون»، إن طائرات حربية روسية استهدفت بأربعة صواريخ فراغية، «مشفى كفرزيتا»، ما أدى إلى خروجه عن العمل بشكل كامل، نتيجة تعرضه لأضرار مادية «جسيمة» واندلاع النيران في محيطه، دون تسجيل إصابات في صفوف الكوادر الطبية، أو المراجعين.

مشيراً إلى أن خدمات «مشفى كفرزيتا» تركز على الإسعاف الأولي للمدنيين، وأنه يحوي أقساماً للولادة، والحاضنات، إضافة لعيادات خارجية، لافتة إلى أن المشفى لا يحوي أي أقسام خاصة بالعمليات الجراحية «الساخنة».

طوارئ داريا: جميع الوافدين إلى إدلب حصلوا على مسكن

قالت مصادر محلية من مدينة صحنايا بريف دمشق، إن مجموعات محسوبة على ميليشيا الدفاع الوطني، سيّرت طوال يوم أمس، عدداً من الآليات الشاحنة التي تحمل أثاثاً منزلياً وباعتها في أسواق المدينة.

وأوضحت المصادر أن جميع الأثاث قادم من مدينة داريا التي هُجّر أهلها بالكامل، وذلك بعدما قامت عناصر تابعة للميليشيات بعملية ما يسمى "تعفيش" لما تبقى من بيوت المدينة، معتبرين أنها غنائم حرب.

إلى ذلك قالت شعبة طوارئ داريا التي تمارس عملها حالياً في محافظة إدلب، إن مؤسسات محافظة إدلب وعشرات الأهالي، قدمّوا بيوتاً مجهزة بشكل كامل للقادمين من درايا، وأوضحت الشعبة أن جميع القادمين أصبحوا داخل سكن خاص لكل عائلة.

واشادت الشعبة بحفاوة الاستقبال الذي قدمه أهالي إدلب، خلال قدوم المهجرين قسراً من ديارهم.

دورات تعليمية في دوما بالغوطة الشرقية

افتتحت مدرسة فجر الصباح الخيرية، دروة صيفية في مدينة دوما لرفع مستوى الطلاب المنقطعين عن التعليم، وإعدادهم للدخول بالسنة الدراسية الجديدة.

وقال أحد مدرّسي «الصباح» إن 550 طالباً في الحلقة الأولى سيخضعون لهذه الدورة، على أن يتلقوا دروساً في الرياضيات واللغتين الإنكليزية والعربية.

وأوضح أن المواد التدريسية، التي ستعطى للطلاب في المرحلة التحضيرية، تشمل مبادئ القراءة والإملاء والأحرف ومبادئ الرياضيات.

1.5 مليون ليرة كلفة البئر والحفر العشوائي ينذر بكارثة بيئية

انتشرت ظاهرة حفر الآبار في محافظة إدلب، وبكثافة في الكثير من المناطق للحصول على المياه الضرورية للشرب والأعمال الأخرى، فبعدما كانت معالمة حفر البئر نكلّف أموالاً طائلة أصبح بإمكان أي شخص لديه مؤهلات من أرض وقليل من الأموال أن يحفر بئراً، خصوصاً مع غياب تعقيدات المعاملة.

وسيم درويش

آبار ارتوازية يتم حفرها في ريف إدلب

تبلغ مساحة محافظة إدلب الإجمالية حوالي / 609710 / هكتار. وتقع 74 ٪ منها ضمن منطقة الاستقرار الأولى التي يتجاوز معدل أمطارها السنوي 500 ملم / سنة. وتعتبر المحافظة من المحافظات الغنية بمياهها السطحية والجوفية التي تنتمي لحوض العاصي، ويخترق أراضيها نهر العاصي (الذي يعد بالمرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد نهر الفرات) من طرفها الغربي بواد ضيق، وعميق شديد الانحدار حيث يلتقي في جنوب قرية جسر الحديد بمياه رافده النهر الأبيض الهابط عبر هضبة القصير مجتمعة مع مياه نهر البوارة الذي يستمد مياهه من هضبة القصير.

الصهاريج الجوالة مصدر رئيسي

ولكن غنى إدلب بمياهها لم يقيها شرّ العطش، ولم يق أهلها عذاب انتظار المياه لساعات وساعات لقضاء حاجاتهم؛ لدرجة جعلتهم يتناوبون على انتظار الماء لملئ خزاناتهم، ومع اشتداد حدة الصراع خرجت معظم محطات المياه في ادلب عن الخدمة نتيجة انقطاع الكهرباء عن كامل المحافظة والذي يعتمد عليها في استخراج المياه من الآبار وضخها لتصل لمنازل الناس. فلجئ الأهالي إلى شراء الماء من الصهاريج الجوالة التي أصبحت مصدر أساسي يرتكز عليها في تأمين مياه الشرب. كما قام بعض سكان ريف ادلب بحفر آبار في منازلهم استخراج الماء الصالح للشرب منها وبعضهم أصبح يستثمرها من خلال بيع المياه للصهاريج التي تقوم بدورها بتوزيعها للأهالي. وتتم عملية الحفر بشكل عشوائي وباستنزاف جائر للمياه الجوفية ما يؤثر على المخزون الجوفي من المياه.

يقول المهندس الزراعي صحبي الحسن، لـ زيتون «حفر البئر الواحدة يختلف في فترته الزمنية من منطقة لأخرى وبشكل عام يتم حفر المتر الواحد بمبلغ يتراوح ما بين 800 – 1200 ليرة سورية وفي حال كانت المسافة المطلوب حفرها 100م لاستخراج المياه فان الكلفة للحفر هي ما يقارب 100000 ليرة سورية، وهو مبلغ بسيط مقارنة بأسعار الدولار والدخل الجديد لبعض الأهالي، فيما يحتاج البئر ايضا وحسب طبيعة المنطقة حيث أنها ان كانت ترابية فهي تحتاج لقميص من الستنليس ستيل ويحتاج إلى غطاس ينزل إلى أسفل البئر ليسحب المياه وفي ظل انقطاع الكهرباء فقد يحتاج من سوف يستمر بئره لأغراض تجارية إلى مولدة ذات استطاعة كبيرة هذا فان كلفة حفر البئر واستخراجه قد تصل لمبلغ 1.5 مليون ليرة سورية أي ما يعادل 3000 دولار».

أبو جميل، من أهالي ريف سراقب قال لـ زيتون «نظراً انخفاض تكلفة حفر الآبار في بلدتي مقارنة بباقي المناطق قمت بحفر بئر في منزلي لتأمين الماء، لا تتجاوز تكلفة الحفر عندنا 100 ألف ليرة سورية (250 دولار) والسبب هو أن الماء ينبع من مسافات قريبة مقارنة ببعض المناطق الأخرى، تتضاعف التكلفة لتصل لما يقارب 2 مليون ليرة سورية بسبب عمق المياه في باطن الأرض ناهيك عن تكاليف تجهيزه المرتفعة ايضاً وهو البئر الجوفي».

ويضيف أبو جميل: لا يحتاج تعبئة خزان البيت من البئر تكلفة كبيرة لتر واحد من (المازوت) كفيل بتشغيل مولدة كهربائية لتعبئة أكثر من 1000 لتر من الماء بتكلفة لا تتجاوز 250 ليرة سورية ما يوفر مبالغ كبيرة لتأمين المياه للبيت بدلا من طلبها من الصهاريج التي قد يصل ثمنها في بعض الأحيان إلى 3000 ليرة سورية.

خطورة بيئية

فريد من بلدة حاس، لا يعلم أنّ في حفر الآبار بشكل عشوائي فيه خطورةً بيئية: وهل هناك أخطار لا أعتقد ذلك! فما أستخرجه من بئري تعيده مياه الأمطار في الشتاء.

أحمد، والذي حفر بئرين في أراضيه يقول لقد حفرتهما في أرضي وأملاكي ولم أؤذي أحد فهل أنا مخالف.

ولأبو وحيد من كفرنبل رؤيته الخاصة، وهو من موظفي الصحة سابقاً: لا أعتقد بأن جميع الناس يمكنهم حفر الآبار بسبب العمق في بعض المناطق ما يجعله يتطلب كلفة كبيرة لاستخراجه اضافة إلى أن مياه بعض الآبار غير صالحة للشرب ولا تستخدم الا في ري الأراضي الزراعية، فالماء الذي يحصل عليه الأهالي غير معقم بمادة الكلور الضرورية لتلافي انتشار الأمراض.

ويقول المهندس سامي محمود مدير وحدة مياه جبل الزاوية سابقاً: إن خطورة الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية في منطقتي حارم وجسر الشغور والريف الجنوبي بشكل عام تتمثل في الانخفاض المستمر في مناسيب مياه الآبار بمعدل يتراوح بين (1. 5 - 3) أمتار في السنة بينما يصل إلى (3. 6) أمتار في السنة في بعض المناطق الغربية من سهل الروج، وقد تم في منطقة حارم وجسر الشغور وريف ادلب الجنوبي ومعظم المناطق حفر مئات الآبار المخالفة في الآونة الأخيرة واستغل المخالفون الأوضاع التي تمر بها سورية عامة وإدلب خاصة، حيث كان عدد الآبار عام 1997 / 6931 / بئراً منهم / 1124 / غير مرخص، ارتفع هذا العدد في عام 2012 ليصل إلى / 12041 / بئراً منهم / 2989 / غير مرخص، فيما ارتفع إلى أضعاف هذا العدد في السنوات القليلة الماضية، حيث لم يعد هناك إحصائيات دقيقة

أدت هذه الزيادة الكبيرة في عدد الآبار (لاسيما الآبار الإرتوازية العميقة) إلى استنزاف المياه الجوفية في محافظة إدلب الأمر الذي أدى إلى جفاف العديد من الينابيع المتفجرة وإلى انخفاض خطير في مستويات المياه الجوفية، تبعه انخفاض في مستويات المياه السطحية.

وتبرز مسألة ترشيد استهلاك المياه بين الناس وخصوصاً بعد ازدياد ظاهرة حفر الآبار بشكل عشوائي والذي يؤثر سلباً على مخزون المياه في باطن الأرض.

وتبرز أهمية تفعيل التشريعات الخاصة بتنظيم عملية الحفر للآبار وإيقاف الحفر العشوائي وتحديد الأعماق التي يجب حفرها وبما يتناسب مع كل منطقة وتحسين ورفع كفاءة عملية الري من خلال تحديد المقننات المائية للمحاصيل وضبط نظام الري وفقها وجدولة مواعيد وكميات الري ونشر الوعي المائي بين المزارعين وتنبيههم إلى خطورة الوضع المائي مع إرشادهم بمميزات أنظمة الري الحديث وتفعيل دور الإرشاد الزراعي والإرشاد المائي عبر وسائل الإعلام المتوفرة وإجراء الدراسات والبحوث لإيجاد أصناف زراعية ذات احتياجات منخفضة من المياه لمختلف المحاصيل الزراعية وتعميمها على المناطق واختيار أنواع متحملة للأملاح لاستغلال المخزون المائي في ظل غياب منظومة رقابية وتنفيذية لإدارة قطاع المياه في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام.

بحسب المهندس الزراعي محمد العثمان أدى استنزاف المياه الجوفية في محافظة إدلب إلى تراجع كبير في الزراعات التقليدية لهذه المحافظة، فعلى سبيل المثال لا الحصر تراجعت عدد اشجار التين التي تشتهر بها إدلب من / 10070000 / مليون وسبعون الف شجرة في عام 1991 إلى / 882 / ألف شجرة عام 2012، مما أدى لتراجع محصول التين، الذي ترتب عليه تراجع إنتاج التين المجفف الذي تتميز به محافظة إدلب من / 2632 / طن عام 1991 إلى / 2056 / طن عام 2012، وبالنسبة لأشجار التفاح التي كانت تتغنى بها مناطق الريف الغربي فقد تراجع عدد أشجار التفاح في إدلب من / 1151000 / مليون ومائة واحد وخمسون الف شجرة عام 1991 إلى / 683 / ألف شجرة عام 2012. أما محصول العنب فقد تراجعت عدد الأشجار من / 3341000 / شجرة عام 1991 إلي / 722000 / شجرة. وكما ذكرنا فهي كانت اخر احصائية حيث يعتقد المهندس عثمان أن الأرقام في تهاوي مستمر نتيجة لسوء الأحوال الزراعية والاقتصادية بشكل عام.

داريا اليوم: أزمة جديدة أم حرب مفتوحة؟

سجلت مدينة داريا الواقعة بريف دمشق الغربي أنموذجاً اختصر عمق حالة الصراع الدائرة في سوريا على مدار أكثر من أربع سنوات، بما في ذلك تفرعاتها الممتدة بين الداخل السوري والميدان الإقليمي وصولاً إلى المجال الدولي.

أهالي داريا في وداعها

أسامة العيسى

مع تبدل أوراق اللعبة السياسية والميدانية عبر الانسحاب الأخير للفصائل المسلحة من داريا ودخول قوات الأسد وميليشياتها إلى المدينة، ظهر في الأفق على ما يبدو فرز إرهاصات مرحلة أخرى من الصراع الممتد في طوق العاصمة الجنوبي والجنوبي الغربي وصولاً إلى عمق الجنوب نفسه، ربما من شأنه أن يزيد عوامل الحرب في مدينة شهدت على أطول مرحلة من القتال منذ بداية الثورة في آذار 2011م.

داريا نقطة انطلاق

الأخبار الواردة لـ «زيتون» عقب تنفيذ الاتفاق تفيد بأن هدوءاً حذراً يسود محاور مدينة داريا منذ الخميس الماضي، وحتى تاريخه، فيما بدأت القوات الموالية تنفيذ خطة أمنية وعسكرية جديدة محكمة انطلاقاً من داريا نفسها ومحاور أخرى قريبة امتداداً إلى عمق محور ريف دمشق باتجاه مدخل العاصمة الجنوبي عبر منطقة صحنايا والكسوة وحرجلة القريبة من الأوتوستراد الدولي دمشق – درعا.

ياسمين دمشقي، ناشطة ميدانية تقول: «مغادرة الثوار لمدينة داريا هي خسارة طبعاً بكل المقاييس لا سيما العسكرية منها، وهو عامل مهم لعب عليه النظام وحلفائه الإقليميين والدوليين وفي مقدمتهم روسيا التي لعبت على حبل الصراع القائم في داريا من خلال إيصال الثوار العاملين هنا إلى مرحلة اضطروا معها إلى ترك سلاحهم ومغادرة المدينة، لكنهم وأقصد الثوار في داريا أنفسهم لم يكونوا خاسرين في المنظور العسكري لأنه عندما يواجه 800 مسلح جيش مدعوم من إيران وروسيا وبيده سلاح الجو والبر والبحر فهذا نصر حقيقي».

وتضيف دمشقي: «مسألة سقوط داريا عمل عليها النظام وحلفائه كما أشرت عبر اللجوء إلى سياسات الهدن وتبريد الجبهات، لا سيما جبهات الغوطة الشرقية وأقصى الجنوب جنوباً وإلى الجنوب الغربي، وأقصد بالأخير جبهات كل من درعا والقنيطرة، فالجميع يعلم أنها جبهات ميتة حالياً ولا قتال فيها نتيجة مخطط عملت عليه كل من أمريكا وروسيا، وانتهى هذا المخطط بشكل بسيط بوجود المقاومة في داريا لوحدها وسط هذا القصف والمواجهات غير المنقطعة».

إذعان أم نصر

إنهاء ملف داريا جاء بعد مفاوضات أدارتها ما تسمى «لجنة المصالحة» متصلة بوزارة المصالحة الوطنية التابعة للأسد، حيث توصلت إلى التزام من جيش النظام بوقف عملياته العسكرية، مثله مثل فصائل المعارضة التي أبدت استعدادها لذات الأمر من أجل إعطاء فرصة لحل لم يشمل المدينة على الرغم من الحلول التي تم التوصل إليها في محيطها سابقاً، وهو ما اعتبره العديد من الناشطين السوريين بأنه خطوة إذعان من المعارضة للنظام، فيما عده آخرون نصر من نوع آخر لثوار داريا.

وتشير المصادر الخاصة لزيتون أن انعكاسات أخرى ستلقي بظلالها على المشهد العسكري في محاور الجنوب السوري خلال الأسابيع القادمة، نحو مزيدٍ من التأزيم في جانب تمدد رقعة سيطرة القوات الموالية على حساب المعارضة التي لا زالت تخسر مزيد من مواقعها على محاور الجنوب ككل والتي كان آخرها مدينة داريا.

جبهات باردة

همام حوراني، ناشط من درعا يقول: «نحن نعلم أن النظام نجح في إقناع فصائل المعارضة عبر روسيا التي تدير الأمور عن طريق حليفتها المقربة أمريكا بأنه لا أمل من استمرار المعارضة في فتح المعارك، ولذلك ترى الآن الجبهات باردة في كل درعا من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق، باستثناء مواجهات متقطعة بين هناك وهناك لحفظ ماء الوجه».

ويتابع حوراني بالقول: «لا شك بأن انعكاسات سقوط داريا ستلقي بظلالها على واقع العمل العسكري في درعا والقنيطرة، لأنه داريا كانت عقد الوصل الأهم حتى عمق ريف العاصمة باتجاه عرطوز وكانت منطقة تهديد فعلي لنظام على مدار السنوات الأربعة الفائتة، بينما الآن أعتقد أن الوضع اختلف.. على المعارضة أن تعيد حساباتها لا سيما في الجنوب لتلحق بركب الشمال، وإلا فالقادم سيء».

هل تنتقل الحسكة إلى دمشق؟

خاص زيتون

في الوقت الذي يبدو فيه وأن شعرة معاوية قد انقطعت بين الميليشيات الكردية وحليفتها قوات الأسد في مدينة الحسكة، وبعض مناطق الأرياف، تواردت معلومات عن أن سلطات نظام الأسد بدأت التجهيز لنقل عدد من المؤسسات الحيوية في مدينة الحسكة، من بنوك ودوائر الأحوال المدنية والهجرة والجوازات والجامعات وغيرها، إلى العاصمة دمشق.

المعلومات السابقة والتي أفاد بها ناشطون من الحسكة أكدها صهيب البو عمر، وهو أحد الناشطين في محافظة الحسكة في حديث لـ«زيتون» قال فيه: «المعلومات الواردة حالياً تؤكد المعطيات المشار إليها، ونحن بالفعل كنا نسمع بمثل هذه المعلومات من الفترة التي سبقت اندلاع المعارك الأخيرة بين الطرفين الكردي والنظامي، وأعني في ذلك مجموعة عمليات المواجهة التي دارت بين الطرفين في مراحل سابقة وخلفت قتلى وجرحى».

ويضيف البوعمر «أكثر من اجتماع عقد خلال الشهرين الماضيين في مدينة الحسكة واجتماع أخر وصف بالمهم عقددد في مدينة المالكية بالإضافة إلى الوجود الروسي الذي زاد في المدينة خلال الأشهر الثلاث السابقة، والذي اقتنعت معه روسيا بأن وجود حليفها النظام السوري في المدينة قد يكون غير مؤكداً خلال الفترة القليلة القادمة، نظراً لحجم الاحتقان الكبير الذي بدأ بالتراكم منذ فترات سابقة بين الوحدات الكردية ومقاتلي الأسايش من جهة وميليشيات جيش النظام وما يتبعها من فلول اللجان الشعبية والدفاع الاوطني من جهة أخرى».

بالتوازي مع ذلك، ألمحت مصادر ميدانية أخرى إلى أن مندوبين عن حكومة النظام السوري وقيادات من حزب البعث الحاكم ومجلس محافظة الحسكة، عقدوا اجتماعاً في مبنى المحافظة بالحسكة خلال الأيام القليلة الفائتة، بهدف الترتيب لنقل كافة المؤسسات الحيوية إلى محافظة دمشق، حيث وصف الاجتماع بأنه على أعلى المستويات، كما أنه ضم قادة ميليشيات اللجان الشعبية والدفاع الوطني والأمن العسكري والجوي وأمن الدولة، بالإضافة إلى قيادة المنطقة الشرقية في جيش النظام.

من جهة أخرى، أفادت معلومات أدلى بها ناشطون بأن ميليشيا الوحدات الكردية منعت الموظفين من الدوام في دوائرهم في حي غويران والنشوة، إضافة لحرقها الأوراق الثبوتية للطلبة الجامعيين في كليتي الهندسة المدنية والاقتصاد في الحسكة، فيما لم يتسنى التأكد حتى الآن من مدى دقة تلك المعلومات، التي نفاها ناشطون أخرون من الحسكة.

هذا ومن المقرر أن المهلة بين الطرفين (قوات الأسد والميليشيات الكردية) لتنفيذ بنود الاتفاق الذي أبرم برعاية روسية مؤخراً، على خلفية ما شهدته مدينة الحسكة قبل فترة من أحداث تمخضت عنها مواجهات دامية، ستنتهي نهاية الشهر الجاري، وسط تخوف الأهالي من تجدد فصول عمليات التسليم بين الجانبين، وبداية فصل جديد من التهجير وسفك دماء المدنيين.

جهاد قصّاب: اللاعب الذي كرّمه النظام بالاعتقال

يدخل السوريون عامهم السادس منذ مطالبتهم بحقوقهم في العيش بحرية وكرامة، ولا زالوا يدفعون ثمن ذلك، ولعل الجانب الأكثر كارثية وإيلاماً هو ملف المعتقلين والمغيّبين. ولم يكترث النظام لشخصيات سوريّة تعتبر رموزاً وطنيةً في الماضي، أمثال الرياضيين الذين حققوا نتائج لافتة لم تكن سوريا لتحلم أن تحققها، ومن هؤلاء نجم نادي الكرامة وقلب دفاعها اللاعب جهاد قصاب قلب دفاع المنتخب الوطني. ونادي الكرامة كان قد حل وصيفاً في البطولة الآسيوية عام 2006 بفضل جهود هذا اللاعب.

ليست حالة جهاد الوحيدة كونه رمز من رموز الكرة السورية، فالكثير من الرياضيين السوريين تعرضوا للاعتقال والمصير المجهول، ومنهم «عبد الرحمن صبوح» لاعب نادي الكرامة ومنتخب سوريا للناشئين، و«محمد سليمان» الملقب (سمّيرة) لاعب نادي مصفاة بانياس بكرة القدم وعامر حاج هاشم لاعب نادي الشرطة والمنتخب الوطني للشباب و«عمر خان» حارس مرمى نادي الوثبة ونادي سراقب و«أحمد العايق» لاعب شباب نادي الكرامة و«طارق عبد الحق» لاعب ناديي الشرطة وتشرين بكرة القدم، والقائمة تطول، عدا عن آلاف المدنيين.

عمار الشاعر

ظروف الاعتقال

تعرض الشاب «محمد» للاعتقال في حمص أثناء عودته من عمله على حاجز تابع للأمن السياسي، ولم يكن يتوقع أنه سيرى نجم نادي الكرامة جهاد قصاب داخل المعتقل وقد تعرض للإهانة والتعذيب الجسدي والنفسي.

يقول محمد: في بداية الشهر التاسع من عام 2014 تم سوقي إلى فرع الأمن السياسي بعد أن قام عناصر أحد الحواجز التابعة للأمن السياسي بتفييش هوتي، وعندما أدخلوني إلى المهجع تفاجأت بوجه مألوف جداً، نعم إنه نجم المنتخب السوري جهاد قصاب ابن حي بابا عمرو الذي كان من أوائل الأحياء الثائرة على نظام الأسد القمعي.

يتابع محمد: كان جهاد إنساناً خلوقاً وكان يساعد المعتقلين بتدليك أرجلهم والقيام بالمساج لهم بعد تعرضهم للتعذيب، ولكنه كان يحمل حزناً شديداً وحسرة حارقة لما قابله به النظام بعد كل العطاءات والإنجازات الرياضية التي قدمها لوطنه.

يقول «جهاد قصاب» على لسان محمد: كنت أشعر بفخر كبير عندما أحرز هدفاً لوطني أو عندما أصد هجمات الفرق المنافسة، وبعد عطاء كبير تعرضت لإصابة تسببت باعتزالي، حتى أنهم لم يقدموا أي تعويض لي، ولم أعتب عليهم، لكن ما يؤلمني هو أن يتم اعتقالي وتعذيبي لمجرد أن أحد أقاربي الذين تم اعتقالهم اعترف – تحت التعذيب - أنني كنت أخرج بالمظاهرات. تم توجيه تهمتي التظاهر وحمل السلاح إلى جهاد بحسب محمد واضطر جهاد للاعتراف بذلك تحت التعذيب.

جهاد يدفع الثمن

كان جهاد قد اعتقل قبل شهر واحد تقريباً من اعتقال محمد، يقول محمد: كان معنا عنصر من الدفاع الوطني في نفس المهجع، وتهمته أنه اختلف مع أحد الحواجز على السرقات وأطلق النار على الحاجز، ولكن كان لهذا العنصر سلطة مطلقة داخل المهجع.

يضيف: في يوم من الأيام طلب هذا العنصر من مدرس معتقل أن يحكي له حكاية تاريخية من باب التسلية، وكان جواب المدرس: «رجاءً اتركني بهمي» فما كان من هذا العنصر إلا أن يشتم المدرس ويعتدي عليه بالضرب، ولم يجرؤ أحد على الكلام، إلا لاعب نادي الكرامة «جهاد قصاب» الذي تصدى لهذا العنصر ودفعه نحو الجدار طالباً منه أن يحترم نفسه، فقام العنصر على الفور بالطرق على الباب منادياً السجان ليطلعه على الأمر، وهنا حلّ غضب الفرع بأكمله على «جهاد»

يختم محمد: تم أخذ جهاد على الفور إلى المنفردة، وبقينا نسمع صوته وهو يتعرض للتعذيب المستمر أسبوعاً كاملاً، وتم رفع التهم الموجه له من التظاهر وحمل السلاح إلى خطف ضابطين وقتلهم وسرقة سيارتيهما، وبعدها تم تحويل جهاد على الأثر إلى معتقل اللجنة الرباعية سيء السمعة في حي مساكن الشرطة، قبل أن يتم الإفراج عني.

أقرباء جهاد لا يعلمون مكانه

ياسر، كان قد اعتقل في فرع أمن الدولة، وتم تحويله بعدها إلى اللجنة الرباعية قبل أن يخرج من معتقلات الأسد ليجتمع مع جهاد قصاب داخل معتقل اللجنة الرباعية.

يقول ياسر: كان جهاد منهكاً وكانت آثار التعذيب واضحة على جسده المتعب، ولقد قام عناصر اللجنة الرباعية بتعذيبه أيضاً ليبصم على جرائم لم يفعلها ومنها قتل الضباط وسرقتهم، وعلى الفور تم تحويل جهاد إلى الأفرع الأمنية في دمشق، ولم يتم تحويله إلى أي محاكمة، وبعدها لا أعلم شيئاً عنه.

فيما يقول أبو محمود، وهو أحد أقرباء جهاد، ويقيم حالياً في تركيا: لم نترك باباً إلا وطرقناه منذ اللحظات الأولى لاعتقال جهاد، لكننا لم نتلقَ أي رد إيجابي، وإلى الآن لا نعلم أين هو جهاد.

ويتابع أبو محمود: ما يؤلمني هو أطفال جهاد الأربعة والذين ينتظرون عودته كل يوم، وما يشعرني بالغصة هو أننا توجهنا لكادر نادي الكرامة الموجود حالياً في حمص ليساعدوا جهاد الذي قدم لناديهم الكثير، لكنهم تبرؤوا منه كلهم، حتى إنهم قالوا إن علاقتهم به كانت في إطار النادي فقط، وذلك لخشيتهم من الاعتقال أيضاً، لم أكن أتوقع أن الجبن والخسة تصل ببعض الناس إلى هذه الدرجة.

ويختم أبو محمود: لا نريد شيئاً منهم ولا من هذا النظام المجرم فقط نريد أن نعلم أين هو جهاد الآن بعد أكثر من عامين على اعتقاله، بل نريد أن نعلم فقط إن كان على قيد الحياة.

رحلة النزوح والمرض

وحيدةً تجلس في حديقة قرب مجمع صحي في مدينة غازي عينتاب التركية، ولا تريد لأحد أن يقترب منها، لا لأنها تكره من حولها بل لأنها تحمل أسمى القيم الإنسانية، ولا تريد لجسدها الذي يصدر إشعاعات كيميائية قد تؤذي أحداً.

مغوار التركماني

أم مصطفى 40 عاماً كانت للتو قد أخذت قرص دواء من نوع خاص لمعالجة السرطان ولا يتم إعطاء هذا القرص إلا بمراقبة دقيقة لعدة أيام داخل المشفى، ويصدر هذا القرص إشعاعات من جسد المريض لعدة أيام، وتؤثر هذه الإشعاعات سلباً على الأطفال والحوامل.

رحلة المرض

تقول أم مصطفى: لم يبقَ لي أحد، وأعيش مع أطفالي الثلاثة في مخيم ماردين، وأضطر كل ثلاثة أشهر لتركهم عند خيمة جارتي لأغيب عنهم أسبوعاً كاملاً كي أتلقى العلاج في مركز مكافحة السرطان في عينتاب حيث يحتاج الطريق للوصول إليها نصف يوم.

وتضيف: بدأت قصتي مع المرض قبل ثلاثة أعوام عندما كنت أنزح من مكان لآخر في سوريا، وكانت غدتي الدرقية تتضخم شيئاً فشيئاً، ولم يكن هنالك مجال لمعالجتها بسبب نقص الكوادر والمعدات الطبية في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام الذي يستهدف المرافق الصحية فيها يومياً.

لم تكن تتوقع أم مصطفى أنها تحمل مرضاً خبيثاً، وتؤكد: ذهبت إلى مستوصف المخيم ليقوم بإحالتي فوراً إلى مشفى قريب، وبعد المعاينة أكد الطبيب أن التورم هو مجرد غدة يجب استئصالها، وقمت بعمل جراحي تم من خلاله استئصال الغدة، لكن وضعي الصحي سرعان ما تدهور بعد ذلك ليكتشف الأطباء أن هنالك خلايا سرطانية متبقية في مكان استئصال الغدة، وتم على الفور إحالتي لمركز معالجة الأمراض السرطانية في غازي عنتاب

وتضيف أم مصطفى: أكثر ما يؤلمني أنني أذهب وحيدة وأعود وحيدة وأترك أطفالي وحدهم، وأتكفل بمصاريف الطريق علماً أنني أضطر لبيع بطاقة واحدة من بطاقات المول الأربع التي أحصل عليها من المخيم وهذه البطاقات لا تكفيني للعيش لنصف شهر أنا وأطفالي في المخيم فكل بطاقة تحتوي على قيمة «80» ليرة تركية فقط شهرياً، وما يؤلمني أكثر هو أنني بعد أن أتناول القرص المخصص لي كل ثلاثة أشهر أخاف على الأطفال الذين من حولي هنا في غازي عنتاب رغم أنني لا أعرفهم، وأخشى عليهم أن يصيبهم الأذى من الإشعاعات الصادرة عن جسدي بعد تناول القرص حيث تستمر هذه الإشعاعات لعدة أيام.

وتختم أم مصطفى قصتها مع المرض وتقول: رغم مرضي وقلة حيلتي ووحدتي فلم أتلقَ أي عون من أحد، وحتى السلل الغذائية هي الأخرى لا تعرف طريقها إلي،

من حمص إلى الرقة ثم الهرب.. ريم وعائلتها وكابوس داعش

اضطر العديد من السوريين، بسبب طول فترة الحرب، للبحث عن فرص عمل جديدة لتأمين لقمة العيش ومتطلبات الحياة اليومية. وتغيرت مهن العديد من أرباب الأسر السورية بما يتناسب مع الأوضاع الجديدة المتغيرة، وسط اختلاف المناطق والقوى المسيطرة عليها.

وضحى العلي

«محمد سلمان الأسمر» من منطقة «جب الجندلي» في حمص، واحد من هؤلاء الرجال الذين حاولوا البحث عن وسائل ومصادر رزق ليعيل زوجته وأولاده. فقد أجبر محمد على تغير مهنته من بيع الملابس إلى بيع مادة المازوت بين مدينتي إدلب والرقة.

ومثل كل السوريين، أصبح يقضي يومه في البحث عن لقمة العيش وبقي على هذا الحال عاماً كاملاً، ثم قرر أن يستقر في مدينة الرقة مع زوجته وأولاده الستة ووالده ووالدته.

وبسبب تنقله السابق بين الرقة وإدلب، تعرض للتهديد من قبل داعش بتهمة «التعامل مع الجيش الحر / المرتدين»، وبدأ الخوف يخيم على حياة العائلة.

«ذهب ولم يعد»، تقول «ريم» زوجته: جاء أشخاص غرباء وأخذوا زوجي من المنزل بحجة بعض الأسئلة وسوف يعود دون تأخير، ولكنه لم يعد وبدأ عمي «والده» بالبحث عنه في كل مكان وإدخال وساطات مع عناصر من داعش. ودفع مبالغ مالية تقدر بثلاثة ملايين ليرة سورية دون جدوى، وبعد أكثر من شهرين قررت والدة محمد الذهاب إلى مقرات داعش للسؤال عنه ولكن كانت هذه رحلتها الأخيرة ولم تعد حتى الآن».

تتابع ريم: هذه الأحداث كانت في شهر تموز عام 2015، حاولت السؤال عنها ولكن دون نتيجة، لتخبرني إحدى صديقاتي بضرورة الذهاب للسؤال عنها ومعي طفلي الصغير ابن الأربعة أشهر لعلهم يشعرون بالشفقة على حالي حيث لم يعد معيل لي ولأطفالي ولوالد زوجي المسن».

ذهبت ريم إلى المكان الذي أرشدها إليه زوج جارتها. تقول: كانت هناك مجموعة من الشباب بملابس غريبة وأشكال أغرب، وعندما سألتهم عن زوجي ووالدته قالوا لي أنهم يخضعون للتحقيق وسوف يتم الإفراج عنهم قريبا وأن زوجي يجب أن يعاقب على تعامله مع الجيش الحر و«المرتدين». طلبت منهم رؤيته. وبعد إلحاحي وافقوا على طلبي واصطحبني أحدهم إلى داخل البناء ثم إلى قبو تحت الأرض. وكانت هنا بداية مأساتي».

أخذ العنصر الداعشي طفلي من يدي ورماني داخل حمام وقال لي «حتى تتعلمين كيف تسألين عن زوجك». بقيت في ذلك الحمام شهرا كاملا وأنا أصرخ، لا أعرف ليلي من نهاري وأريد طفلي. أعادوا لي طفلي بعد عشرة أيام من ذلك كنت تعرضت لكل أنواع الإهانات والتعذيب من قبل سيدات على الأغلب لسن سوريات. ثم نقلوني إلى غرفة كبيرة فيها عدد كبير من النساء قصصهم متشابهة. بقيت على هذا الحال لمدة شهرين ولم أعلم اية معلومة عن زوجي محمد ووالدته وأطفالي «الذين تركتهم مع جدهم المسن».

الهروب صدفة!

أخطر ما يمكن أن يمرّ به الناس في تلك المناطق استهداف طائرات التحالف للمنطقة، فكثيراً ما تخطأ الطائرات أهدافها فتقتل مدنيين، تقول ريم: في إحدى الليالي كانت طائرات التحالف تقصف المكان وعمت الفوضى وفتحت أبواب المكان وبدأ الجميع بالهرب وكان هناك غرف مخصصة للرجال وهرب القسم الأكبر وأنا منهم مع ثلاثة رجال وسيدتين. اختبأنا في منزل قريب من المكان وساعدنا أصحابه بالهروب بعيدا عن مقرات داعش. وعندما رويت قصتي للرجال الذين هربوا معي أخبرني أحدهم أن زوجي قد تم قتله من قبل داعش منذ اليوم الأول لاعتقاله، أما والدة زوجي فلم أعلم عنها شيئا، قرر هؤلاء الرجال مساعدتي للوصول إلى أبنائي. وصلنا إلى المكان بعد تعب وعناء ومخاطر كثيرة. لم أجد عائلتي ولكن وجدت رقم هاتف مع جارتنا لشقيق زوجي الذي جاء وأخذ الأولاد وجدّهم، استطعت الوصول لهم خلال الهاتف وعلمت أنهم متواجدين في تركيا. لم اكن املك نقودا لكن الرجال الذين فروا معي قالو لي «أنت أخت لنا ولن نتخلى عنك حتى نوصلك إلى عائلتك».

ينتهي المطاف على الحدود، تختتم ريم كلامها: رحلة شاقة فيها الكثير من الخطر والتعب والجوع. أخيرا وصلت إلى الحدود ولا أعلم كيف! خمسة عشر يوما منذ خروجنا من السجن. دخلت إلى تركيا عن طريق أحد المهربين مقابل مبلغ مالي دفعه الرجال الذين كانوا معي. وصلت وأطفالي وأنا معهم الآن ولكن منهكة وضعيفة وحزينة لوفاة زوجي وأمه، وأصبحت مريضة لا أستطيع إعالة أطفالي. هناك الكثير من التفاصيل عن مأساتي واعتقالي لكن الكثير من الكلام غير المباح.

ريم وأطفالها الستة بعد هروبهم من الرقة - زيتون

رغم أن الكثير من الميسورين، والذين هم خارج المخيم قد حصلوا على كثير من هذه السلل بحكم المعرفة والمعية.

رحلة النزوح واللجوء

لم يكن المرض وحده رفيق أم مصطفى في رحلة معاناتها، فلقد كان لها تاريخ لا ينسى من مأساة النزوح واللجوء.

تقول أم مصطفى: اضطررت للنزوح من قريتي «الرامي» في إدلب بعد أن سيطر النظام عليها، قبل سنوات، وبعد أن رأيت جنود النظام يتراهنون على قتل طفل يقطف التين مقابل علبة تبغ، وقاموا بقنصه وسلبوه حياته، توجهت على الفور أنا وزوجي وأطفالي إلى قرية «كفرحايا» المجاورة، واستأجرنا منزلاً متواضعاً ب 2500 ليرة سورية، وهنا بدأت مأساة من نوع آخر.

وتضيف: أيام قليلة بعدها كانت كفيلة بحرماني من زوجي، فبينما كان ذاهباً لشراء الخبز سقطت قذيفة بقربه أدت لاستشهاده على الفور، ثم استشهد بعدها شقيق زوجي ووالده بقذيفة أيضاً، ولم يتبقى معي سوى زوجة عمي وبعدها تم إخراجنا من المنزل لعجزنا عن دفع أجرته، واضررنا للانتقال لبيت مهجور لنعيش فيه، ولكن بعد عدة أيام جاء أحد المسؤليين عن المنطقة، وأخرجنا من المنزل ليعطيه لأحد أقربائه.

وتتابع: وجدنا بعدها غرفة مهجورة أشبه بحظيرة الحيوانات، وبعد أن قمنا بتنظيفها أخرجونا منها بعد أيام قليلة، ليس ذلك فحسب بل حتى المياه كنا نشتريها بثمن باهظ وبمعدل 500 ليرة سورية مقابل ضخ لمدة ساعة

وتختم أم مصطفى: هنا بدأت أشعر بالمرض بعد كل ما عانيته طوال هذه الفترة وهنا قررت التوجه وأطفالي الثلاثة إلى تركيا لأعيش في مخيماتها، وليعيش معي المرض وذكرياتي المؤلمة، لا أريد شيئاً إلا أن يعطيني الله عمراً حتى أرى أولادي وقد اشتد عودهم، لذلك فأنا أقاوم مرضي يومياً، ولا أستطيع أن أتخيل ماذا سيحل بأطفالي لو أنني مت قبل أن يصبحوا قادرين على العيش بدوني.

تُعتبر تركيا من أكثر الدول إيواء للسوريين الذين فروا من جحيم نظام الأسد، وتحتضن تركيا أكثر من مليونين وثمانمائة ألف لاجئ سوري يعيش 10٪ منهم داخل المخيمات بحسب الإحصائيات الرسمية للدولة التركية، فيما تتركز كثافة اللاجئين السوريين الذين يعيشون خارج المخيمات في الولايات الجنوبية والجنوبية الغربية مثل (غازي عنتاب – كلس – الريحانية – أورفا ـ مرسين وانطاكية).

وتقدم الحكومة التركية خدمة الرعاية الصحية لحملة بطاقات الكيميلك، ولمن يعيش في المخيمات، وقد بلغ عدد حالات الدّخول إلى المشافي التركية من المخيّمات فقط، ما يزيد على 500 ألف حالة مرضية، كما تجاوز عدد المرضى الذين خضعوا لعمليّةٍ جراحية الـ 200 ألف حالة، بالإضافة إلى أكثر من 35 ألف حالة ولادة جديدة بحسب مؤسّسة الدّراسات الاقتصادية والاجتماعية التركية (TESEV)

ولكن لا توجد إحصائية دقيقة لأعداد السوريين الذين يعانون من أمراض مزمنة وخبيثة داخل الأراضي التركية.

الشاعر عبد الرحمن الإبراهيم لـ «زيتون»:

نحن أمة لا يستهويها الجمال في كل ضروب الإبداع

قهوةٌ بطعم الزمن الجميل، وكوخ، ولا صوت يعلو فوق صوتِ الشعر، في زاوية إلى جانب قرية الغدفة شرقي معرة النعمان، صنع الشاعر عبد الرحمن الإبراهيم كوخاً، ليكون منفاه البعيد القريب، هناك تجتمع ظروف الجمال رغم الواقع المرير، ليلازمه لقب شاعر الجمال حتى في زمن الحرب والدم. يقول الإبراهيم باختصار.. وطنٌ وطين.. والبرد ثالثنا.. ورابعنا الحنين، وهي مقطع من قصيدة كتبها لقريته، التي خبِرت طفولته، وأسست لشاعر له عدد من الدواوين. زيتون التقت بالشاعر عبد الرحمن الإبراهيم وعادت بالحوار التالي:

حاوره: رزق العبي

بداية.. يقول «فريدريك نيتشا» الأديب الألماني، «دع المشاغبين وارجع إلى مقرّك، فما ميدان الجماهير إلا معترك يهدّد سلامتك، بين خنوعِ نعم وتمرّد لا، ولا تقومَ عظمة إلّا بعيداً عن الناس» هل انزواؤك في كوخك القصيّ ترفّعاً عن الناس، أم لاختلاء الشاعر بنفسه، أم للزهد دور، في كوخ الاعتكاف؟

الكوخ الذي كانت بدايته على غرار خيمة الناطور، الخيمة التي جبلت طينها بيدي حنيناً لذاكرة غابرة، واستجداءً لماض ترتاح لنكهة طينه الروح، أمّا سبب الإقامة فيه هو اجتناب القذائف الغادرة ما أمكن، التي كانت تسقط على الضيعة، ثم جاءت بعدها الطائرات الفاجرة، أضف لذلك وبعد أن طارت الوظيفة مع رواتبها، أنشأت بجواره ما يشبه المنتزه لنعتاش من دخله، ثم إن الضيوف.. ضيوف الثورة عشاق الحرية الذين نسعد بتشريفهم يحبون أن نستقبلهم في رحاب هذا الكوخ المتواضع.

***للحنين إلى الطفولة مفردات حاضرة في شعرك منها «يا دار جدي، الكحل، حارات، تنَكْ، حواكير، مهباج.. «، هل كان للشعر والكلمة حضور في طفولتك، وكيف كانت بدايتك؟**

من أتم نعم الله عليك أن تكون محباً للجمال، ولا أبالغ إن قلت لك خلقتُ مفتوناً به، ولما كانت الفنون من أهم مظاهر الجمال، أولعتُ بها جميعها، وكنت من أبرز الأطفال في حفظ الأهازيج والأغاني الشعبية، وبدأت بالرسم ربما لتوفر الألوان.. ولأنه لا يحتاج اللغة التي يصعب على الطفل نحوها وصرفها، كان يستهويني الشرود في البراري والغناء مع عصافير الحواكير، في المرحلة الثانوية هممت بالموسيقا وهمّت بي، إلا أن ثمن الآلة الموسيقية حال بيني وبينها، تلقيتُ صدمة موجعة بعدم قبولي في كلية الفنون، لسبب وحيد وهو أنني لست بعثيّاً! أقلعتُ عن الرسم نهائياً بعد الانتهاء من الخدمة العسكرية، وذلك هروباً من سخرية المجتمع وجرياً وراء الوظيفة والعمل، غير أني بقيت موجوعاً بالحنين إلى الفنون، حتى عدت في سنة 1994 إلى مقارفة الشعر، على أثر زيارة لدار جدي ووقفة على أطلالها، حيث ولدت القيصرية الأولى، والتي أسميت ديواني الأول باسمها.

*** لطالما أسندتَ ظهرك على خرائب الأوابد الأثرية، لتكتب عنها، أين تلك الأوابد منك في هذه الأيام؟**

منذ تفتّحت عيون قلبي.. وبيوت ضيعتنا تنام في أحضان الأوابد الأثرية، بيدرنا مسيج بآيات تلك الأوابد، شغب الطفولة ما زال منقوشاً على خدود حجارتها، أشلاء أحلامي ما تزال طرية بين أعشابها، جحور إخفاء السجائر عن عيون الأهل.. منها ما صار أعشاشاً للعصافير.. ومنها ما زال مسكوناً بالكثير من الحكايات، وما زلتُ آوي إليها كلما حننت إلى التاريخ، حيث أشتمُّ منها وعلى مقام المتنبي روائحها الخالدة «لك يا منازل في القلوب منازل.. « رغم الآلام التي أصابتني جراء الاعتداء عليها، من قبل شبيحة الجشع، الذين يكرهون كل الأشياء الجميلة.

*** وكيف تقيّم الحراك الأدبي الثوري على مدى ستة أعوام، وماذا قدّم للثورة، وهل كان على قدر المسؤولية؟**

سأحدثك في الإجابة على هذا السؤال عن الشعر فقط، الذي لم يكن له دور يستحق الذكر، في حال استثنينا أهازيجه، والسبب يكمن في عدم الاحتفاء بالقصيدة، نحن أمة - وأرجو أن لا تغضب مني - لا نحتفي بالجمال، جانبنا المادي لم يترك شيئاً لجانبنا الروحي، ولا يقتل القصيدة ألا عدم الاحتفاء بها، ولكي تجد من يحتفي بالقصيدة عليك أن تخلع عنها قميص الشعر وتتركها عارية إلا من النظم الذي لا يخاطب سوى الغرائز، ناهيك عن ضجيج العسكرة بكل أديلوجياتها والذي يطغى على همس القصيدة المفعم بالعذوبة والرقة والجمال.

*** يقال أن هنالك تصحر أدبي، فما هو سبب هذا التصحر؟**

سامحني إذا كررت لك الحقيقة المؤلمة.. بأننا أمة لا يستهويها الجمال كثيراً، وأقصد بالجمال هنا كل معانيه العميقة، وإن دلّتْ هذه الحقيقة على شيء، فإنها تدلّ على قابليتنا للتصحر.. وليس في الأدب وحده، بل في كل ضروب الإبداع، فما جدوى أن تهطل الغيوم على أرض لا تكترث بالاخضرار، فإذاً نظرنا إلى الأدب من هذه الزاوية، فلم نجد إلا مشهداً متصحراً، ناهيك عن الوجع المرّ وشظف العيش ورائحة الدم وانعدام كل مقومات الحياة، هذا بالنسبة لما يتعلق بالمشهد السوري على وجه الخصوص.

*** هل كان للأدب مواقف بارزة، في مراحل الثورة المهمة كالتسليح والأسلمة؟**

أبداً.. أبداً.. ما ذكرته جاء من الخارج.. محمّلاً على أكتاف من لا يؤمنون بالأدب ولا يتعاطونه، فأي دور سيكون للأدب.. أمام حالة تَستهجنه ولا تصغي إليه!

*** للمرأة سطوتها عليك، لماذا لا تتعامل معها بنديّة؟**

أراك يا صديقي بدأت تتحرش بالعذوبة، متلمساً ضفافها، إذ ليس هناك أعذب من الحديث في المرأة، أمّا أن تتعامل معها بنديّة، فهذا منتهى الحيف، وفيه يكمن إلغاء دورها الخلاق، وفي حال هبطت للأسفل بغياب سطوتها.. سأضطر للهبوط وهذه الحالة يكفيها اسمها، أما في الحالة المعاكسة، يكمن السمو والرقي وأنت تلهث صاعداً نحو هذه الهالة المشكلة من كحل عينيها وأعشاب غرّتها القتولة، وهنا يكمن سرّ المرأة العظيمة الخلاقة، التي تبتكرك من خلال توقك لذروتها المعممة بثلوج الحبِّ الناصعة النقية، وفي حال دنوت من هذه الذروة، ستجد عندها القصيدة.. التي ستطعم قلبَكَ من جوعٍ وتؤامنه من خوف.

*** تعيش قصة حبّ، وهذا ما نودّ الحديث عنه، كيف حال الحبّ في زمن الحرب التي تفتك بكل شيء؟**

ليس هناك من سويٍّ ولا

يحيا قصة حب، ومن لا يحياها فهو ميّت يعيش كما بقية المخلوقات فكيف لو علمتَ بأن أهمّ مخلوقات اللّه وأعظمها هي أنثوية بامتياز.. السماوات.. الشموس.. المجرات.. الخ، فالمرأة الأنثى والتي هي أهم وأعظم المؤنثات بالنسبة للرجل وليس الذكر، أليست جديرة بالحب؟ أما جعل منها الأقدمون آلهة للحب والخصب والجمال، وبعد أن ران على قلوبنا التخلف والجهل، بتبني ما نسب للمقدس وهو ليس منه، صار معظمنا يخجل من الحب وكأنه نوع من الدعارة فيكتمه، تصوّر معي عالماً بدون هذه الأنثى وبدون حبها، ماذا سيبقى فيه من الحياة.

أمّا عن الحب في الحرب، هو أهم ما في الحب.. حيث وهو فيها لا تطاق، فكيف إذا كانت بدونه ولن تكون إجابتي وافية، إذا لم أضعكَ أمام هذه الحالة الانغماسية.. والتي عاشها عنترة كحقيقة روحيّة وليس مجازاً «ووددتُ تقبيلَ السيوف لأنها.. لمعت كبارق ثغرك المتبسم» في هذه الصورة يكمن جوهر الحب، ولهذا سكنت الخلود، وإليك ما قلته أنا في آخر قصيدة كتبتها: والكحل ينزف من أهدابها حلباً

وربّ كحل له كالعين وجدانُ
وربَّ كحلٍ له في العين ذاكرةٌ
إذا استجيشتْ صحتْ في الخيل فرسان
يلمُّ قلبي صهيلَ الشعر من دمها
كم في دماها لمهر القلب قصدان

فلا تصدّق بأن هناك من يدافع عن العرض والوطن والدين والكرامة والحرية ولا يكون قلبه مفعما بالحب.

*** كيف توفّق بين الحياة الزوجية والأسرة والتزاماتها وبين طقوس الشعر وجنونه؟**

الشاعر من أنجح الأزواج على الإطلاق، لأنه يعيش على سجيّته، دفّاقاً بكل شيء، عطوفاً، حنوناً، سخيّاً، رضيّاً، ودوداً، مزوحاً، فهو مسكبة من أزاهير الفرح والسعادة، إذا عرفت الزوجة كيف تعتني بزهور هذه المسكبة المعطاءة، وما عليك إلا أن تتصور الفرق.. بين من تسقيها وتعتني بها.. وبين من ترشّها بالمبيدات!.

*** وكيف ترى دور المرأة السورية في سورية المستقبل؟**

المرأة السورية في سوريا المستقبل كالرجل في سوريا المستقبل، وكلمة امرأة لا تنطبق على جميع النساء، كما أن كلمة رجل لا تنطبق على جميع الرجال، هناك تفاوت على المستوى الفردي، فمع هذا التفاوت تبقى الحرية المنشودة هي المناخ الضامن والوحيد لتطور المرأة، طبعا لا أقصد بالحرية كما يفهمها الأغبياء، الذين هم أيضا لا يمكن لهم أن يتخلصوا من غبائهم إلا بالحرية، الحريّة هي شرط الحياة الوحيد، والذي من خلاله سيتاح للمرأة السورية أن تعيد ابتكار ذاتها المبدعة التواقة لاستعادة إنسانيتها المفقودة، بعد أن شوّهها الاستبداد وجعل أكبر أحلامها أن تكون خادمة ممتعة وحسب.

*** خبرتك أزقتها عن ظهر قلب، سلمية الماغوط، بلياليها وسهراتها، كيف كانت علاقتك مع أهلها، وهل تشتاقها الآن؟**

هناك شيء من المبالغة في متن السؤال بقولك: خبرتني أزقتها عن ظهر قلب، وما خبرني بها إلا الأصدقاء الذين يعدّون على أصابع اليد الواحدة، وعلى رأسهم المرحوم الشاعر العذب منذر شيحاوي الذي ربطني به حبّ عارم، ولربما أحببتُ السلمية من خلاله على أنها قصيدة سوريا الجميلة، هي مدينة تستهويك بشاعريتها، فلن تجد في السلمية من لا يقول الشعر أو يتذوّقه كما يليق به، ولي ذكريات شعر جميلة، لم تزل تجتر ذاتها على مائدة الحب المنذرية، في سهراتٍ رائعة قضيتها معه، والسلمية مهوى قلوب كل الشعراء، لفرادتها من بين كل المدن السورية، وذلك لاحتفائها المنقطع النظير بالقصيدة وجمالياتها، وهذا ما فرض على قصيدتي محبتها، فكتبتها بأفراحها وآلامها وشجونها وعطشها وويلات ما تعانيه من شبيحة الطاغية.

*** لكل كاتب محرّض، ما الذي يحرّض عبد الرحمن الإبراهيم على الكتابة.. وطن، دم، حبّ، أطلال، ذاكرة..**

لا يحرضني شيء مما ذكرت بشكل حقيقي، إذا لم تسطع عليه أنوار الثالثة، ألا وهي الحب، ربّما هي حالة مرضية في نظر الكثيرين، لكنها حقيقتي التي تجعلني أشعر بأنّ كل بيتٍ لم يتبلل بعطر الحب، هو بيت مات بسم الكذب العاطفي.

*** عنونتَ ديواناً بـ (عشتار) في زمن أصبح الواقع أغرب من الأساطير، ما مدى أهمية الأسطورة في الشعر، للشاعر والجمهور؟**

لكل إنسان خلفية وجدانية.. مسكونة بنفحات تاريخية.. تهب عندما تثيرها القصيدة، فيكون لها مفعول السحر في وعي وقلب المتلقي، والأسطورة هي أكسير هذه النفحات بعد أن تعتّقت في الوجدان البشري، أما أهميتها فتكمن في قدرة الشاعر على توظيفها، وذلك بإثارتها في اللحظة الفنية المناسبة، الديوان الذي حمل العنوان المذكور والذي لم يطبع، جمعت بين جلدتيه أهم القصائد التي تجعل من المرأة قيمة عالية تتماهى من خلالها بما قدّس الإنسان في أساطيره الغابرة.

*** مادياً، الشعر لا يجلب رغيف الخبز، من أين يعيش الشاعر ليكتب كلماته؟**

ما كان الشعر ولن يكون دكاناً للارتزاق، وإن جعله البعض كذلك، فهو أسمى وأجل هو فيضٌ من الجمال، يفجّره اللّه ينابيعاً من شغاف قلبك، لتسكبه جمالاً على وجه الحياة، فيرى اللّه فيما أنجزتَ نقاء ابداعك من كل أغراض النفس الصغيرة، وبالتالي تكون قبساً من جماله الذي يفيض على الناس بشراً ونوراً ولا يريد جزاءً ولا شكورا، وعند الأمم الراقية يكرّمُ الشاعر على ما أبدع، ولا يكرّم ليبدع، فكل قصيدة مدّتْ يدها لتأكل بثدييها، قيمتها تكمن في بطن صاحبها ليس إلا.

*** هي من كتبها الشعراء كلاماً، وأطربها الغناة غزلاً، دمشق المحرمة علينا، أينها منك في الشعر؟**

لطالما ارتبط اسم دمشق بالطاغيتين «حافظ وبشار»، وكثيراً، مما جعل الشعراء الشرفاء يتجنبونها، خوفاً من أن تحسب عليهم لا لهم، لكن دمشق نزار وسعيد عقل وشوقي ودرويش ما تزال في نخاع القصيدة، وقد بدأت تعود لبهائها المرتجى وإليك آخر ما كتبت لدمشق:

عيناك دنٌّ، لوجه الشام، تسكبني
في راحتيكِ، وفلُّ الشام أقداحُ
لمن سيسكبُ، من شريانه، بردى
خمرَ الشآم، وأهل الشام قد راحوا؟!
خيلُ الأغاني، إلى عينيكِ، ترسلني
صوبَ الصهيل، وشوكُ الدّرب نبّاحُ
مادام جفنكِ مكتظّاً بأشرعتي
فلن تعيقَ، هوى الملاحِ، أرياحُ

*** بعد الستين وعام، كيف تصف هذه الرحلة، وكيف ترى المستقبل؟**

سؤلك الأخير فضح المستور، فالشعراء كالنساء لا يحبون أن تعرف أعمارهم، رحلة العمر التي كلما التفتُ إليها.. وجدت جميع السنين الخالية من الحب.. هي خالية من الصدق.. خالية من الحياة.. وأما المستقبل الذي ستصنعه الحرية.. سأقول لك متفائلاً.. هو قصيدة سورية الخالدة.

كوخ الشاعر في الغتفة بريف إدلب زيتون

طبع أول ديوان له بعنوان «يا دار جدي» في عام 2000، والديوان الثاني «مدي الهديل إلى الحمام» في عام 2001، ثم في عام 2004 ديوان «بغداد هار»، ثم طبع مجموعة شعرية مشتركة مع عدد من الشعراء بعنوان: «قصائد حب دمشقية»، وفي عام 2007 طبع ديوانه «مناسك الكحل»، وله قيد الطبع حالياً مجموعتان شعريتان: «عشتار» و«حارات عينيها العتيقة»، شارك في العديد من المهرجانات المحلية منها: مهرجان الشيخ «صالح العلي» في «طرطوس»، مهرجان «الماغوط» في مدينة «سلمية»، مهرجان «المعري» في «المعرة»، مهرجان «أفاميا» الأول في «حماه»، وشارك أيضاً في مختلف المهرجانات التي أقيمت في الجامعات السورية واللبنانية، نال العديد من الجوائز منها: جائزة اتحاد الكتاب العرب، جائزة مديرية الثقافة في «إدلب»، جائزة «ربيعة الرقّي»، جائزة «أبي العلاء المعري»، جائزة «الجولان» للإبداع الأدبي.

الأسر السورية في أوروبا بين الحرية وقيود الوطن البعيد

يظنّ الكثير ممن لم تسمح له الفرصة باللجوء إلى دول الاتحاد الأوربي أن نظراءه الذين تمكنوا من تحقيق حلمهم في العيش في دول - يُقال إنها تحترم حقوق الإنسان وتعطيه كل ما يستحق - يعيشون في جنة الأرض، ولكن هذه الكذبة الكبيرة - بحسب كثير من اللاجئين السوريين - في أوربا تخفي وراءها الكثير من المصائب.

في الطريق إلى أوروبا - رويترز

وئام أحمد

أحمد شاب سوري 41 عاماً تمكن من الوصول إلى أوروبا هو وعائلته المكونة من زوجته وأطفاله الأربعة، يتمنى أنه لو لم يغادر تركيا، بل أكثر من ذلك يفضل أحمد العودة إلى العيش تحت رحمة البراميل المتفجرة على العيش في أوربا بعد إحساسه بالعجز والغدر والضعف، إذ تخلت عنه زوجته وأخذت أطفالها وتركته وحيداً.

يقول أحمد: صحيح أنني كنت أعيش مع عائلتي تحت القصف، لكننا كنا أسرة واحدة وكان يسود بيتنا الودّ والألفة والتراحم، كانت زوجتي حينها كالملاك، تمسح عني همومي وتحضر الطعام لي وتخفف من أوجاعي.

ويتابع أحمد: هذه هي عاداتنا وأخلاقنا، ولكن وبعدما قررت وزوجتي أن نركب البحر منطلقين من إزمير التركية قبل ثلاثة أعوام انقلب كل شيء رأساً على عقب، فبعد وصولنا إلى ألمانيا وبعد أن تم منحنا اللجوء والإقامة أصبح لزوجتي ولأطفالي مرتباً شهرياً خاصاً بهم، وبعد أن أجبرونا على متابعة دروس اللغة الألمانية، وضعوا زوجتي في قاعة دراسية أخرى غير القاعة التي أدرس أنا بها، ثم بدؤوا فيما بعد بتعريف المرأة بحقوقها وأن لها حقوقاً أكثر من حقوق الزوج، لدرجة شعرت فيها أنهم يحرضون زوجاتنا علينا.

ويضيف: لم يكن هذا الأمر مع زوجتي فقط بل مع أولادي الذين كانوا يذهبون إلى المدرسة يومياً حيث شعرت بتغيّر سلوكهم اتجاهي فجأة، وعلمت فيما بعد أن معلمتهم أعطتهم أرقاماً هاتفية ليتصلوا بها في حال تعرضوا للتعنيف الكلامي، أو الجسدي من قبلي، ولكن بعد فوات الأوان، حتى زوجتي أصبح سلوكها غريباً، وعندما كنت أطلب منها أن تحضّر لنا طعام العشاء كانت تقول لي يجب عليك أن تساعدني، ومع مرور الوقت أصبحت تقول لي قم أنت بتحضير الطعام.

لحظة التفكك

أصبح أحمد يشعر بضيق كبير من التغيرات التي طرأت على أسرته، وحاول أن يستخدم لغة العقل ليقنع زوجته أن عادتهم تختلف عن عادات الغرب، وأنه يجب على الأسرة السورية أن تحافظ على عاداتها وتقاليدها ولكن دون جدوى، بل وصل الأمر بزوجته إلى لحظة قالت له فيها: «تباً لهذه العادات ألم تفهم إلى الآن وبعد عيشنا هنا في أوربا أننا نحن العرب والمسلمين متخلفين».

يتابع أحمد: أصبت بحالة من الذهول حين كان رد زوجتي على هذه الشاكلة، ولكن الذي جعلني أفقد صوابي هو أن ابنتي ذات الأعوام العشرة وقفت إلى جانب زوجتي وقالت: يكفينا تخلف يا بابا وعندما قلت لها يا بنتي نحن مسلمون ولنا ديننا وعاداتنا، تطاولت طفلتي على الدين أيضاً، وهذا ما جعلني أفقد صوابي، فما كان مني إلا أن وبختها ونهرتها، فبدأت بالصراخ والتطاول عليّ أيضاً، وعلى الفور قامت زوجتي بطلب الشرطة.

ويضيف أحمد: وصلت الشرطة بعد دقائق قليلة، وقاموا بأخذنا للتحقيق وقامت زوجتي وابنتي هناك بالادعاء عليّ بأنني أقوم بتعنيفهم وقمع حريتهم الشخصية والاعتداء على أبسط حقوقهم الإنسانية، فقامت الشرطة بنقل زوجتي وجميع أطفالي إلى بيت يبعد عني أكثر من 4 ساعات، ولا يحق لي أن أتعرض لهم أو أراهم بعد اليوم إلا برفقة الشرطة.

ويختم أحمد: ينتابني شعور في كل لحظة بعدم تصديق ما جرى معي، ووصلت لقناعة تامة أنني ارتكبت خطأ جسيماً عندما جئت إلى هنا، لقد خسرت زوجتي وأطفالي وأنا وحيد الآن، فأهلي ما يزالون في سوريا وأخوتي في تركيا، فكرت كثيراً بالانتحار، ولكن الوازع الديني هو الذي كان يردعني، نعم لقد خسرت عائلتي وأهلي ووطني، لقد خسرت كل شيء.

أسباب التفكك الأسري

ليست حالة أحمد هي الوحيدة فهناك مئات الحالات من التفكك الأسري الذي استشرى في صفوف العائلات السورية في بلاد اللجوء الأوربي بشكل عام فهل السبب هو تغير البيئة المحيطة وبالتالي تغير القوانين والعادات، أم أن هناك أسباب أخرى؟

يقول الاختصاصي النفسي يمان زيدان: لا يرتبط الأمر بأن المرأة السورية أصبحت تأخذ راتباً شهرياً فقط، فمعظم النساء السوريات هن من المتعلمات والمدرسات والموظفات سابقاً في سوريا وكان لهن راتب شهري وكن يساعدن أزواجهن مالياً أمام صعوبات الحياة، وكنّ يعطين الراتب كاملاً للزوج ليتصرف هو به بما يخدم المؤسسة الزوجية، ولكن طبيعة المجتمع الجديد وفهمه للمرأة أثر على عقلية المرأة السورية التي تقيم في أوربا حالياً.

ويتابع: ومن هنا أصبحت المرأة تطالب باستقلالها مادياً ومعنوياً بل وحتى نفسياً وفي بعض الأحيان تضخم لديها شعور الاستقلالية المطلقة لحد التفرد في التسلط على المؤسسة الزوجية لتصبح هي الآمر الناهي، بسبب تشجيع القوانين الأوربية على استقلالية المرأة وتفرد قرارها، أمر أدى إلى الصدام مع الزوج الذي لم يترب َ على هذه القيم الدخيلة بالنسبة إليه.

ويضيف: أيضاً هناك عامل هام جداً وهو غياب الرادع المجتمعي الذي كان في سوريا، والذي يستنكر ويستهجن خروج المرأة عن طاعة زوجها، بل إن الذي حدث في أوروبا على العكس تماماً، وأنا أعتبره نوع من التحريض، وخصوصاً في ظل غياب معرفة كثير من الأزواج لواجباتهم وحقوقهم.

ويختم المختص الاجتماعي: نعم إن الأسرة السورية في الخارج مهددة بالتفكك، ولعل أهم عامل من عوامل التفكك هو عامل التدخل الخارجي في شؤون الأسرة، وهذا ما يحصل من قبل السلطات في أوروبا بحجة حقوق المرأة وحقوق الأسرة، وينبغي على هذه الدول أن تحترم عادات وتقاليد كل أسرة لاجئة لأنها تحمل ثقافة مجتمع مختلف كلياً عن ثقافة الغرب.

قالت المنظمة الدولية للهجرة إن 2900 مهاجراً لقوا حتفهم لدى محاولتهم الوصول إلى شواطئ أوربا عبر مياه المتوسط خلال النصف الأول من العام الجاري.

وذكر المتحدث باسم المنظمة جويل مليمان إن عدد الغرقى تضاعف تقريبا مقارنة بالنصف الأول من العام الماضي عندما لقي 1838 مهاجرا مصرعهم أو أعلنوا كمفقودين مقابل 742 قتيلا أحصتهم المنظمة الدولية خلال الفترة نفسها من العام الفائت.

على الحدود السورية التركية - الأناضول

تركيا والأردن تحرمان السوريين من رؤية أسرهم

لا تنحصر معاناة الشعب السوري بالقتل والدمار والتهجير والتغييب القصري والاعتقال فقط، فهناك جانب أكثر إيلاماً ربما من كل ما سبق، فبعد أن تم تهجير نصف الشعب السوري ما بين الداخل ودول الجوار والاتحاد الأوربي، طفى على السطح نوع أكثر قسوةً من أنواع المعاناة التي تلازم السوريين منذ أكثر من خمس سنوات، ألا وهو غياب الزوجة عن زوجها وتقطع السبل بين أفراد العائلة الواحدة، بسبب الحدود، فالأب مثلاً يعيش في تركيا والزوجة لا تزال في سوريا والأطفال موزعون بين الأردن ودول الخليج ودول الإتحاد الأوربي، ولا أحد يستطيع رؤية الآخر إلا عبر الصور الخالية من الروح من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، ولعل فرض تركيا لتأشيرة الدخول إلى أراضيها على السوريين منذ بداية العام الجاري زاد من معاناة السوريين ومأساتهم، لكون تركيا من أكثر الدول مقصداً للهاربين من براميل الأسد

ياسمين محمد

عائلات مشتتة

محمد أبو مالك، شاب في الثلاثينيات من عمره متزوج ولديه طفل، اضطر للخروج من مدينة حمص متوجهاً إلى دمشق بعد عام من اشتداد قصف النظام على مدينته إثر ثورة حمص العارمة التي لبّت نداء درعا مهد الثورة السورية.

يقول محمد: اتجهت أنا وعائلتي إلى حي القدم في دمشق وعشْت هناك 14 يوماً فقط، بعد أن تفاجأت عبر أحد الوسطاء أنني مطلوب لفرع المخابرات الجوية.

وعلى الفور وعبر عائلة معروفة من حي القدم تم تأمين هروبي في صباح اليوم التالي مع عائلتي إلى منطقة نصيب في درعا على الحدود الأردنية، وبفضل الله وقبل الساعة 12 ليلاً من نفس اليوم كنت على الأراضي الأردنية، ولن أنسى تاريخ هذا اليوم في 28-3-2012 و اعتبر أن الله كتب لي عمراً جديداً.

ويضيف محمد: اضطررت للمكوث ثلاثة أيام في مخيم البشابشة في الرمثة ريثما تم تأمين كفيل لي وبعد عدة تحقيقات من قبل الجهات المختصة الأردنية، ثم استقريت بعدها في منطقة الخالدية، وبعد فترة من العمل تمكنت من استثمار مطعم صغير لأعيش منه أنا و عائلتي الصغيرة، وبعدها تمكن أخوتي الذكور والإناث باللحاق بي وكذلك أهل زوجتي، وعاشوا كلهم معي في منطقة الخالدية، وخففوا عني وعن زوجتي آلام الغربة، وكان الله منعماً علينا بالتئام شملنا، ولكن ذلك لم يدم طويلاً.

شتات وفراق

بعد فترة من استقراره في الأردن أصبح محمد يرى أصدقاءه يهاجرون إلى ألمانيا، ويشجعونه على ذلك، ففكر محمد بالأمر بعدما رأى أن انتهاء الحرب في بلاده أصبح شبه مستحيل، ورأى أن يذهب إلى تركيا ليجرب حظه، وليطلب لم شمل أسرته إذا وصل إلى ألمانيا فيما بعد، ولكن كان للقدر رأي آخر

يقول محمد: اتصلت المفوضية المختصة باللاجئين مع كثير من السوريين الراغبين بالهجرة مع عائلاتهم لكنهم لم يتصلوا بي طيلة السنوات التي عشتها في الأردن، لذلك ودّعت زوجتي وقررت التوجه إلى تركيا، فقامت السلطات الأردنية بتدقيق أوراقي وأجبروني على التوقيع على عدة أوراق ليسمحوا لي بالسفر جواً إلى تركيا مع العلم أنني أحمل جواز سفر سوري ساري الصلاحية، وبعد وصولي إلى تركيا في بداية العام الجاري تم منع الهجرة الغير شرعية بالنسبة للسوريين عبر البحر فاضطررت للبقاء هنا في تركيا والعمل في مطاعمها بعد أن تركت زوجتي حاملاً في شهرها الأول ووحيدة مع طفلي الوحيد.

ويضيف محمد: زوجتي الآن في الأردن ولا يمكنها المجيء إلى تركيا بعد أن فرضت الحكومة التركية تأشيرة دخول على السوريين، ولقد تقدمت زوجتي لطلب الحصول على الفيزا عشرات المرات ولكن دون جدوى، فقررت أن أعود إلى الأردن مجدداً بعد أن احترق قلبي بنار الفراق الذي أبعدني عن زوجتي، ولكن دون جدوى أيضاً، وتبين لي أن الأوراق التي أمضيت عليها في الأردن تمنعني من العودة إلى الأردن من جديد، رغم أنني خرجت إلى تركيا على أساس السياحة لمدة ثلاثة أشهر.

وبعد معاناة طويلة وعدة استفسارات من الجهات الأردنية كان ردهم لا يحق لك كلاجيء أن أعود إلى الأردن ما دمت خرجت منها

محاولات فاشلة

يقول محمد: ذهبت زوجتي إلى الخارجية في الأردن و أوضحت لهم أنها تريد عودة زوجها كونه معيلاً لها، ولكن دون جدوى.

ويتابع محمد: لم أترك باباً إلا وطرقته فلقد تواصلت مع سائق في الديوان الملكي الأردني بحكم الصداقة، وشرحت له وضعي، فطلب مني أن أطلب من زوجتي أن تكتب رسالة موجهة إلى ملك الأردن بشكل شخصي، ووعدني بأن يضعها في الديوان الملكي، و كان ذلك، ولكن الرسالة لم تصل إلى الملك.

ويضيف محمد: تواصلت مع الرجل من جديد فوعدني أن يحاول تأمين مقابلة لزوجتي مع ملك الأردن لتروي له معاناتها، وتطلب منه أن يسمح لي بدخول الأردن من جديد، و ها أنا ذا أنتظر وعود هذا الرجل منذ عدة أسابيع وإلى الآن لا شيء تغير.

آلاف الحالات والمعاناة تتكرر كحالة محمد ومعاناته، وخصوصاً بعد فرض الحكومة التركية لتأشيرة الدخول على السوريين الراغبين بدخول أراضيها مؤخراً، وآلاف العائلات تشتت، وباعدت الحدود بينها منذ وضع التعقيدات على تنقلات السوريين في كافة بلدان العالم، وخصوصاً دول الجوار، فإلى متى يتم حرمان السوريين من أبسط حقوقهم في التئام شتاتهم وزيارة بعضهم بعضاً؟ يتساءل محمد ومئات آلاف السورين أيضاً.

الإقامة المحدودة ولم الشمل يهددان آلاف العائلات السورية

بعد أن عانوا ويلات الحرب، وتكبّدوا مشقة السفر، وعناء الغربة، وخسارة المبالغ الطائلة التي دفعوها في تكاليف السفر، وألم البعد عن الأهل والأحبة والخوف عليهم سواء أكانوا في بلدهم سوريا أو في بلدان اللجوء، ضاع كل ذلك سدىً، وبات حلم الكثير منهم في الالتقاء بعائلته مجدداً صعب المنال.

خاص زيتون

وجاء ذلك بعد ظهور ما يعرف ب «الإقامة المحدودة أو الثانوية»، وبعد التعقيد الذي بات يشوب إجراءات الحصول على الإقامة ولم شمل الأسرة.

الحماية الثانوية

الحماية أو الإقامة المحدودة (الثانوية): هي مرحلة تسبق مباشرة حق اللجوء، وتسمح بمنح المهاجر إقامة لمدة سنة، قد تمدد تلقائيا ولمدة أقصاها 3 سنوات، واللاجئين الذي يحصلون على «حماية محدودة» لن يحق لهم استقدام عائلاتهم خلال السنتين المقبلتين، وهي حماية مقيدة يحصل عليها الشخص بسبب تعرضهم للتهديد والقمع في بلادهم ولكن لا يمنح صفة لاجئ ولا يخضع لاتفاقية جنيف المتعلقة باللاجئين، ولا يستطيع التقدم بطلب لجوء.

ما هو التغير الذي طرأ بعد ظهور الحماية الثانوية؟

قبل صدور قرار الحماية الثانوية في العديد من الدول الأوروبية، كان السوريون يحصلون على الحماية أو اللجوء بشكل شبه تلقائي، وكان يسمح لجميع اللاجئين بتقديم طلبات لم الشمل لأسرهم.

أما بعد صدور القرار، فقد تغيرت طبيعة تواجد اللاجئين السوريين بين شخص وآخر، وتختلف حتى جوازات سفرهم وألوانها وطبيعة الأوراق الثبوتية الخاصة بهم، وأصبح من يحصل على حماية محدودة لا يحق له لم شمل أسرته.

أسباب القرار

أولاً: ارتفاع أعداد اللاجئين بشكلٍ كبير جداً.

ثانياً: رفض الشعوب الأوروبية لاستقبال هذه الأعداد من اللاجئين، إما من نظرة اقتصادية أو أمنية أو عنصرية..

ثالثاً: التفجيرات وحوادث الشغب التي حصلت في بعض الدول، وتم تبنيها من قبل تنظيم «داعش».

رابعاً: لا يخفَ على أحد حاجة شعوب قارة أوروبا «القارة العجوز»، إلى اليد العاملة السورية، وقيام بعض اللاجئين الذين حصوا على الإقامة بمغادرة دول لجوئهم إلى حيث تقيم عائلاتهم ريثما تحصل على إقامة أفرادها، وقد تم سحب الإقامة من عدد لا بأس به من اللاجئين في السويد لهذا السبب، وتم إلزام اللاجئين السوريين في ألمانيا والسويد وغيرها على العمل.

خامساً: صعوبة اندماج عدد من اللاجئين مع المجتمعات المضيف، وصعوبة تعلم البعض للغات هذه المجتمعات.

وكان وزير الداخلية الألماني «توماس دي ميزيير» قد تقدم في تشرين الثاني من العام الماضي، بفكرة جعل شروط استقبال اللاجئين أصعب وطالب بأن يشمل ذلك السوريين. وقال «لا أحد يعرف كم شخصا في سوريا أو الدول المجاورة لها ينتظرون موافقة على طلباتهم للم شمل أسرهم».

القرار واللاجئين

أرسلت العائلات السورية التي كانت تحلم بالاستقرار والأمان وبمستقبل مشرق لأبنائها، أحد أفرادها «اباً، أو الأم، أو طفل دون سن الثامنة عشرة»، وعاشت حالة من الخوف والهلع، ريثما أنهى رحلته في طريق «الهجرة من الموت إلى الموت»، آملةً في أن تنتهي معاناتهم، ويوضع حدٌ لبعادهم بعد أشهرٍ من وصوله إلى هدفه.

وكثيراً ما فقدت العائلات السورية، من علّقت عليه آمالها وأحلامها في هذا الطريق، وفقدت بذلك أملها في النجاة من واقعٍ كانت تحاول الهروب منه، وتغييره نحو الأفضل، وأغلقت طرق الهجرة غير الشرعية، وباتت دولاً تتطلب فيزا، وأخرى تتطلب إقامة، وغيرها أغلقت أبوابها نهائياً.

ولكن الضربة التي تلقاها السوريين كانت بقرار الحماية المؤقتة، حيث تلاشت آمال وأحلام هذه العائلات، بعد أن انتظرت في بعض الأحيان قرابة العام ونصف، علماً أن قوانين الحصول على الإقامة كانت تتراوح بين شهرين إلى 10 أشهر، حسب الدولة.

إلى سوريا والسودان

واليوم وبعد انتظار طويل وأحلام كثيرة، وبعد تحمّلَ روتين الأدوار في السفارات، ومزاجية المحقق المسؤول عن الملف، والأخطاء الكبيرة في توزيع فرص الإقامة بين اللاجئين، بات البعض في ظل الحماية المحدودة دون أدنى استقرار وبلا هدف أو خطة أو مستقبل.

واضطرّ البعض للعودة من منفاهم إلى سوريا وإعادة عائلاتهم ليكملوا حياتهم معاً تحت وطأة الحرب وظروفها في سوريا، بينما اضطرّ آخرون للبقاء دون رؤية عائلاتهم بسبب القوانين التي فرضت في الدول التي يقيمون فيها، على أمل أن يحدث تغيير لصالح اللاجئين، أو بغية إجراء محاولات استئنافٍ لتغيير القرار.

وقسمٌ آخر لجأ إلى السودان وغيرها من الدول التي لا تتطلب فيزا وتعقيداتٍ في إجراءات السوريين فيها، أما القسم الأخير فقد ضحى بعائلته وحدث انفصال أو شرخ داخلها.

سيران اللجوء

وفي هذا السياق، كتب ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي «صدقوا أن النزهة بين تركيا وجزر اليونان ستكون على متن يخت سياحي، والطريق بين أثينا وشمال صربيا هو سيران يوم الجمعة، وأن المهربين خريجو السوربون».

«صدقوا أن الشرطة الهنغارية لن تدوس على رقابهم، قبل أن تشحطهم ليبصموا في مكاتب اللجوء، وأن الشرطة النمساوية ستدغدغهم وتلحمس على شنباتهم ولن تضع كلبجات بدري في أيديهم».

«صدقوا أن اللاجئين الألبان والأفغان وغيرهم لن يسرقوا نقودهم وهواتفهم وكحل عيونهم، وأن نهاية رحلتهم تستحق منهم المغامرة، وأن مراكز اللجوء في ألمانيا آمنة ولا يعتدي عليها الألمان ولن يحرقون الخيام».

وتجدر الإشارة إلى أن قرار الحماية المحدودة، بالإضافة إلى العديد من القرارات التي صدرت في دول أوروبية عدة، والتي كان الهدف منها هو التضييق على اللاجئين السوريين والحدّ من تدفقهم، كانت قد صدرت مطلع العام الحالي 2016.

تسوية داريا وتأثيرها على المناطق المحيطة

وعد حوراني

كان يا ما كان في قديم الزمان، يُحكي يا سادة يا كرام أنّ مدينةً وادعة لم تفصلها عن منطقة المزة سوى بساتين الصبّار، وحدودٍ إدارية فقط، وعن القصر الجمهوري جبالٌ فقط، وحوصرت من قبل ثكنات نظام الأسد المحيطة بها 3 أعوام و10 أشهر. أجهزت خلالها علَى أكثر من 6000 قتيل من قوات الأسد ومرتزقته، ودُمّرت وعطبت أكثر من 150 دبابة وعربة، في ظلّ أكثر من 6500 برميل متفجر، و700 صاروخ وآلاف القذائف التي دمّرت ٪90 من بنيتها التحتية، وهجّرت نحو 25 ألف نسمة.

تسوية داريا:

صمد ثوار داريا أمام بطش الأسد، حتى بات 8200 شخص ضمن رقعةٍ لا تتجاوز الكيلو متر الواحد، على شفا أكبر مذبحة في تاريخ الثورة السورية.

وتحت وطأة النابالم الحارق، والخذلان الجارح، والانحياز الحاقد، رضخ ثوار داريا لتسويةٍ مع نظام الأسد، تم بموجبها نقل ثوارها إلى مدينة إدلب، ومدنيّوها إلى حرجلة ومنها إلى حيث يشاؤون.

فهل نتكلم عن داريا «إخوة العنب والدم»، أم عن «ضحية تخاذل الجميع وعلى رأسهم إخوة الدم»، أم عن «مدينة البراميل»، أم عن «داريا الثقب الأسود لنظام الأسد»، فقد مزجت داريا بين صبر وتحمّل صبّارها ودماثة وحلاوة عنبها.

من بعد داريا؟!

سؤالٌ يطرح نفسه، وبالنظر إلى المعطيات الحالية وواقع المناطق المحاصرة وظروف حصارها الحاليّ، نجد أنّ جميعها تقريباً مهدّدٌ بداريا جديدة، انطلاقاً من جاراتها المعضمية وخان الشيح، مروراً بالغوطة الشرقية، وليس انتهاءً عند حدود الوعر وريف حمص الشماليّ، تأميناً للعاصمة دمشق، ووصولاً لحدود دويلة حمص المزعومة.

وبربط مجريات الأحداث في شمال وشرق سوريا، من تدخل تركيّ، وإصرار على الكاستيلو طريقاً للمساعدات إلى حلب، وتحجيم للأكراد في مناطق غرب الفراتّ مقابل إطلاق يدهم في قلب الحسكة، وتكثيفٍ للقصف على إدلب وريفها، مع ما يجري في من أحداثٍ في الغوطة والجنوب وحماة والساحل، وتصعيدٍ في حمص وريفها، واستخدام للأسلحة المحرّمة دولياً، وتهديدٍ لثوار المعضمية، وتجاهل لبنود هدنة «الزبداني - الفوعة»، تزامناً مع ما جرى في داريا.

للوهلة الأولى؛ يتبادر إلى مخيلة البعض أن الأمور متجهة نحو إقامة ما يعرف ب «المناطق الآمنة» أو العازلة في شمال سوريا، على الرغم من تجديد الولايات المتحدة نفيها لحديثٍ عن مناطق عازلة حالياً، وإعلان روسيا لعدم وجود حديث لحظر طيران في سوريا، بينما يرى البعض الآخر أنّ «التقسيم» بات على الأبواب.

التقسيم والمناطق الآمنة

التقسيم: هو عبارة عن حدود دويلاتٍ وإيجاد حكوماتٍ لها، وتخضع لاعتباراتٍ طائفية وعرقية وسياسية، ودون موافقة الشارع السوري.

بينما المناطق الآمنة: هي عبارة عن حدودٍ لمناطق، دون حكومات وإنما إدارة مركزية، وتخضع لاعتباراتٍ طائفية «سنية»، وبطلبٍ من الشارع السوري بحظر طيران عنها، وبموافقةٍ وإجماع على إقامتها.

وهكذا نستنتج أنّ خياري «المناطق الآمنة» و«التقسيم»، هما آخر الحلول لدى المجتمع الدولي، ولن يتم العمل على أحدهما، إلّا بعد استنفاذ كافة السبل وشتى الطرق والوسائل، للحفاظ على نظام الأسد أولاً، والقضاء على أكبر قدرٍ ممكن من الشعب السوري.

وفي ضوء ما جرى مؤخراً من تقارباتٍ سياسية عديدة، ومما سبق نجد أنّ كلّ ما يحدث في سوريا حالياً، هو فرضٌ للأسد ونظامه بقوة في محادثات جنيف القادمة، وبإجماع وتحيّزٍ تام من المجتمع الدولي ليس إلاّ لإنهاء الأمر وفق ما يريده الأسد وداعميه، وإن لم يكن، ستكون الأرض مهيأة للطروحات السابقة أو لحلول أكثر تعقيداً تجرّ المنطقة برمّتها للهاوية.

السويداء: ملثمون في الأزقة وحشيش في الشوارع

تعتبر السويداء من المحافظات التي بقيت بعيدة نوعاً ما عن تأثيرات الحرب المندلعة في سوريا منذ ما يقارب الخمس سنوات، والتي شابهت فيها المحافظة، ذات الغالبية الدرزية، في ذلك محافظات أخرى أهمها الساحلية، في حين بدت تأثيرات أخرى للحرب وإن كانت أقرب إلى «غير المباشرة» تلقي بظلالها على مناطق جبل العرب في المدينة والريف، على الرغم من السطوة الأمنية الكبيرة للنظام السوري والميليشيات التي جندها هناك.

خاص زيتون

ملثمو الشوارع

من بين أهم الظواهر التي باتت تهدد حياة السكان في السويداء ظاهرة انتشار عصابات السرقة وقطاع الطرق المعروفين بـ«الملثمين» وهم عبارة عن مجموعة من أصحاب السوابق والمجرمين، ممن امتهنوا بشكل احترافي عمليات السرقة والنصب والاحتيال على الناس كوسيلة للعيش، إلا أن الغريب في الأمر هو انتشار هذه الظاهرة على مرأى سلطات أمن النظام والميليشيات الشعبية الموالية له والمسيطرة على كافة مناحي الحياة في جبل العرب، بمدينته وريفه.

وتشير التقارير والمعلومات الواردة من المحافظة، والتي أكدها ناشطون منها، إلى أن أكثر من 700 حالة سرقة ونشل وسطو سجلت فقط في مدينة السويداء، عدا الأرياف، خلال الشهر الحالي آب / أغسطس من العام 2016، بينما سجل أكثر من هذا الرقم خلال الشهر السابق، وهو ما اعتبرته الناشطة ميس بلان من المحافظة بأنه أمر يرجع إلى «فشل السيطرة الأمنية على المحافظة، نتيجة وقوع هذه الجرائم على مرأى سلطات النظام والقوى الموالية له، في حين بات السكان يضيقون ذرعاً بعصابات السرقة والسطو المذكورة دون جدوى».

وتضيف بلان «مجموعة كبيرة من الجرائم باتت تنتشر في السويداء، ولهي بالفعل تسجل رقماً مرتفعاً حتى أنه غير موجود في المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة، بينما يتواجد في السويداء جيش الأسد وقواته الأمنية الأخرى، فضلا عن اللجان الشعبية والدفاع الوطني التي أنشأها، والتي تردنا معلومات شبه مؤكدة عن اشتراك عدد منها في التغطية على عصابات السرقة والنشل المذكورة، والتي باتت تمارس أفعالها المشينة على الملأ ضمن أحياء تتواجد فيها حواجز أمنية وعسكرية، وإذا ما تم إبلاغ سلطات الأسد وميليشياته يكون الجواب بكل بساطة: نحن لا نستطيع فعل شيء!!».

سرقة وسلب وحشيش

ويضيف زاهر عز الدين في حديث آخر حول ظواهر مماثلة «السويداء التي كانت عنواناً للأمن والأمان، باتت الآن مرتعاً للمجرمين. عشرات عمليات السرقة والسلب من قبل مجهولين والتي تطال سيارات ودراجات نارية وحيوانات داجنة وأدوات منزلية، وخصوصاً في الأرياف، بالإضافة إلى عمليات خطف مقابل فدية، ناهيك عن تجارة الحشيش والمخدرات والسلاح، كل شيء سلبي رائج باختصار، كل مظاهر الجريمة متوفرة في الشوارع والناس لا تقدر على فعل شيء».

واعتبر عز الدين أن «السويداء تعيش حالياً حالة من الفوضى لا مثيل لها منذ انطلاق الاحتجاجات في سوريا، وسط حالة من غياب مظاهر الأمن على الرغم من تذرع قوات الأسد وميليشياتها، لا سيما الأمن العسكري، بأنها تمسك على كافة الأمور في المحافظة».

غلاء فاحش

ويقول مصطفى خ. وهو نازح من درعا، مقيم في السويداء منذ سنتين تقريباً بأن الوضع الحالي في المحافظة ليس كالسابق له، إبان فترة النزوح الأولى خلال العام 2014م، ويضيف موضحاً: «كان كل شيء متوفر في السابق، أما الآن فهناك غلاء فاحش للمواد الغذائية والطبية وتحليق بأسعار المواد، بالإضافة إلى تفاوت كبير في مستوى معيشة الناس، وهو ما أدى بنا إلى أحوال مزرية نحن النازحين إلى المحافظة كأناس بسطاء، فضلا عن تعرض أموال لنا هنا أيضاً للسرقة، كالسيارات والدراجات النارية».

وفي الوقت الذي يتهم فيه ناشطو المحافظة نظام الأسد في حكومته وسلطاته وميليشياته التابعة له بأنه مصدر الفوضى القائمة، يؤكد الناشطون بأن استمرار الحال على ما هو عليه من شأنه أن يؤدي إلى وضع السويداء على «صفيح ساخن» قد يؤدي إلى تفجير الأوضاع فيها خلال مراحل قادمة.

تفيد بعض التقديرات بأن عدد سكانها مدينة السويداء وحدها بات في حدود 200 ألف نسمة، بينما تجاوز عدد سكان المحافظة ككل عتبة 450 ألف نسمة مع توافد النازحين خلال مرحلة الثورة، يشتكي العديد من المواطنين والنازحين ما قالوا إنه "التعتيم الإعلامي" على مشكلة النزوح للمحافظة، وعلى إمكاناتهم الضعيفة في الحصول على لقمة عيشهم، في ظل شح الدعم الإغاثي المقدم لهم.

وبحسب مصادر ميدانية، فقد بلغ عدد الأسر الوافدة إلى مراكز الهلال الأحمر العربي السوري في السويداء حوالي 12 ألف أسرة حتى مطلع العام 2016م، وهؤلاء كما أشير يتكفل الهلال الأحمر بتقديم العون الإغاثي والصحي لهم، وتأمين المتوفر من المساعدات بالتنسيق مع الجهات الدولية والتابعة للنظام السوري.

من جهة أخرى، يتحدث النازحون في السويداء عن إشكالات تواجههم من قبيل الاستغلال والابتزاز، سواء في مجال الحصول على سكن بالأجرة، أو من حيث الحصول على لقمة يومهم، بسبب الغلاء وارتفاع الأسعار الفاحش

تحتضن محافظة السويداء حالياً أكثر من 67 ألف نازح من كافة المناطق السورية، تأتي درعا المجاورة على قائمة الترتيب تليها ريف دمشق ودمشق ومن ثم القنيطرة بحسب نشطاء.

أحد الحواجز في مدينة السويداء

حلا التي تفوقت على الرجال

أسعد شلاش

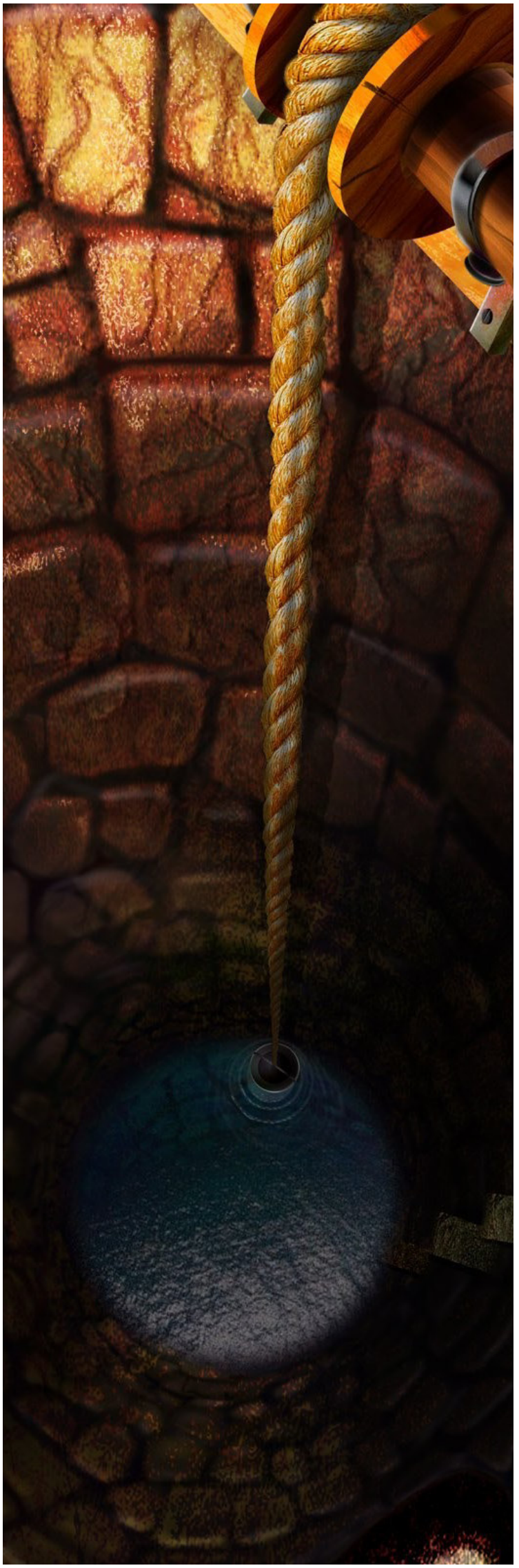

خديجة امرأة قروية، لا تجيد القراءة والكتابة، ولأن الإحساس بالظلم والاضطهاد لا يحتاج إلى فزلكات وثقافات، فقد كانت تشعر بالغبن من كل الرجال حولها، أولهم زوجها، لكن فطرتها السليمة لم تكن تسمح لها بالتعرض له أمام الآخرين بشكل مباشر، وغالباً ما كانت تلجأ إلى التعميم وتتحدث عن غطرسة الرجال وظلمهم واضطهادهم للنساء.

طفلتها البكر «حلا» ذات الأربع سنين كانت أنيقة ونظيفة ومرتبة بشكل ملحوظ عن أطفال تلك القرية الفقيرة، والأهم أن «حلا» مهذبة كانت ذات نباهة وذكاء يفوق أترابها من الأطفال بما فيهم الذكور، تحفظ بعض الأناشيد، ترددها دون خجل، واثقةً بنفسها، ترحب بالضيوف كما الكبار، تروي الكثير من القصص بتفاصيل دقيقة، وأجمل ما فيها أنها كانت تبادرك بالتحية أينما التقتك.

بدت حالتها مثيرةً لكل من حولها من الرجال وبعض النساء بما فيهم أقرباؤها، وراح البعض يدفع الأمور إلى الأمام، ويرى «حلا» صبية ناضجة ومداركها ووعيها يتفوق على الكثير من الرجال ويردف بعدها، حينها من الصعب السيطرة عليها وقد تسبب الكثير من المتاعب لأهلها ولعشيرتها وكل من حولها الذين راحوا يفكرون بطريقة تمكنهم من ترويضها من الآن لكي لا تسبب لهم أي متاعب مستقبلاً، إلى أن نصحهم أحد رجال القرية أنهم إذا كانوا فعلاً جادين بترويض «حلا» من الآن، فما عليهم إلا أن يربطوها بحبل، ثم ينزلونها في بئر ليس المهم أن يكون به ماء أم لا، المهم أن يتم إنزالها إلى عمق معين، بحيث يغشاها الظلام وتشعر بالخوف الشديد، وحينها لا بد أن يحد الخوف من (فتاحتها)، وتصبح مسكينة وهادئة وتبقى على هذه الحالة حتى بعد أن تشب وتكبر وتصبح شابة.

بعد كثير من الأخذ والرد بين والدها وإخوته وأبناء العمومة، أقر أغلبية الرجال على تنفيذ الخطة، مع مخالفة البعض القليل ووقوف الأقل على الحياد ومنهم والدها، الذي حتى وإن لم يكن راضياً في قرارة نفسه، لكن الأعراف والعادات لا تخوله الاعتراض على من يكبره سناً من الأخوة والأقارب، إضافة إلى كونه ضعيف الشخصية إلى حد ما وغير صاحب قرار.

النساء المقربات أغلبهن ضد الفكرة لكن عادات القبيلة لا تكترث لآراء النساء.

رفضت والدتها الفكرة وبشدة جملةً وتفصيلاً، ولكي تجعل زوجها يقف إلى جانبها ويرفض الفكرة، هددته بأنها ستلقي بنفسها في ذات البئر، وقام أحد أعمام حلا بالطلب منها أن تصعد معه على دراجته النارية، مدعياً أنه ذاهب إلى السمان وأنه سيشتري لها ما تريد، ولأن إحساس الأم يبقى الأصدق فقد حاولت أن تمنع حلا من الذهاب مع عمها، لكنه زجرها بقوة وكذلك زوجها الذي أمسك بيدها وجرها بقوة إلى داخل الغرفة، حيث سقطت أرضاً وأجهشت ببكاء مر، وزوجها يقف بالباب مضطرباً ومتوتراً.

هنالك عند البئر كان رهطاً من الرجال بالانتظار، حزم الرجال حلا من تحت إبطيها بحبل أعد مسبقا لهذه الغاية، أدركت حلا أن شيئاً ما يدبر لها، بدأت بالصراخ والبكاء، استنجدت بأمها.. بوالدها.. بأعمامها، لكن ما من مجيب، كانت قد غدت أسفل فوهة البئر بقليل، ازداد بكاؤها وصراخها أكثر، أنزلها الرجال في البئر أكثر، كانت حرقة بكائها وقوة صراخها تتناسب طرداً مع اقترابها من ماء البئر، لكنها توقفت فجأةً ولم يعد يسمع لها أي صوت، ظن الرجال أن حلا قد فارقت الدنيا وراح يصرخ بعضهم ببعض أن أخرجوها بسرعة.

أمسك أحدهم بيدها وأوقفها جانب البئر كانت دموعها لا تزال تغادر عيونها بغزارةٍ، لكن بصمت ودون أدنى صوت، كلمها عمها، لم تجب، أعاد السؤال، لكن لا جواب.

قال أحد الرجال أنه من الطبيعي أن تفقد حلا النطق من الخوف، لكنها حالةً مؤقتةً وستزول بعد أيام، كان والد حلا لايزال يروح ويجيء أمام المنزل متوتراً، عندما أتاه بها رهط الرجال أمسك بحلا من يدها حاول تهدئتها، حدقت بعينيه بنظرة تحمل قهر كل نساء الأرض من رجالها من يوم أن غادرن رحم أمهاتهن إلى يوم أن يعدن إلى رحم الأرض، بعدها شاحت عن وجهه وأمالت برأسها للأسفل نحو الأرض، حاول جاهداً أن يكلمها أن ينظر إليها، أن يُفلح في أن تنظر إليه، لكنها كانت دائما تشيح بنظرها عنه وعن رهط الرجال، وما إن دخلت حتى أسرعت إلى حضن أمها ودموعها في ازدياد، ضمتها أمها وراحت تقبلها، امتزجت دموعهما وتاريخ قهر يجدد ألم العصور، طلب زوجها أن تدثرها لتغفو قليلاً ويغادرها خوفها حينها ستنسى ما جرى لها، لم تجب أمها بكلمة، لكنها نظرت إليه بنظرةٍ حملتها ذات الايحاء الذي أوحت به عيون طفلتها، دثرتها، غفت حلا وجلست أمها جانبها تبكي قهر رجال القبائل للنساء.

ما يناسب الرأس المتدحرجة "أبو طه بقابل أبو راس"

بشّار فستق

شكّلوا لجنة لفحص تماثيل حافظ الأسد المنتشرة حتّى على رؤوس بعض التلال، فقد ازدادت الأخطاء في نسب أعضاء جسم المذكور، كأن يكون حذاؤه ورأسه أكبر بشكل مُلاحظ من بقيّة أعضاء الجسم، أو أن تكون المؤخّرة منتفخة أو منخفضة بشكل كبير، وبعضها تبدو كفّ اليد نحيلة مدبّبة، أو متمدّدة كجدار، وبدا في أحد الأصنام جالساً على كرسي نحيل الأرجل الأربعة، وعلى ظهره قتب*، أمام مكتبة ألصق بها اسمه، كمعظم المرافق العامّة في البلد.

يعود فنّ النحت السوريّ إلى آلاف السنين، وقد مرّ بمراحل متعدّدة من الفترة الآشوريّة إلى الآراميّة إلى الكنعانيّة، وقد دمّر النظام في السنوات الخمس الأخيرة، بالتعاون مع شريكه تنظيم «داعش» العديد من هذه الأوابد والآثار وخصوصاً النحتيّة في المدافن التدمريّة.

يعتبر النقّاد البداية المعاصرة لهذا الفنّ في سورية في ثلاثينيّات القرن العشرين، مع النحّات «فتحي محمّد قباوة» في منحوتة «الزنبقة» وتلته أسماء روّاد منهم «محمود جلال» في الأربعينيّات، ثمّ «أدهم إسماعيل» وكثيرون غيره في الخمسينيّات، وصولاً إلى ما اعتبره بعض النقّاد** انعطافة في مسار فنّ النحت السوريّ عام 1956، على يديّ الفنّان «مروان قصّاب باشي» بمنحوتة الهامّة «الجوع»، باعتبارها المنحوتة التعبيريّة الأولى في تاريخ الفنّ السوريّ. كما يعدّ إدخال النحّات «سعيد مخلوف» مادّتي الحجر الخشب بداية الستّينيّات إلى منحوتاته نقطة انعطاف ثانية في النحت السوريّ المعاصر.

بعد غرز نظام الأسد أنيابه في الجسد السوريّ بداية الثمانينيّات، ظهرت علائم مسخ النحت، رغم تخرّج مواهب عديدة من قسم النحت في كلّيّة الفنون الجميلة بدمشق، لكنّ سطوة قبضة أمن النظام كانت تخبط وتبطش؛ فمثلاً مُنع عمل تخرّج نحت بارز (رولييف) لطالب، وسُحب من العرض، لأن موضوعه كان عن مجزرة «تلّ الزعتر» التي أشرف عليها ونفّذها جيش الأسد عام 1976على الشعب الفلسطينيّ، بالتعاون مع ميليشيات طائفيّة معروفة في لبنان، وبالطبع تعرّض الطالب للاستجواب، وأعلن التوبة.

بعد هذه الفترة، اشتدّ تشجيع وتمويل المنحوتات التي تمثّل رأس أو جسم حافظ الأسد، وانتشرت حُمّى تماثيله قبيل دورة المتوسّط 1987، تقليداً للديكتاتوريّات العالميّة (تخليد الرموز) من أمثال: المجرم «ستالين» وغيره.

التجأ بعض الفنّانين السوريّين الشباب إلى استلهام أساطير المنطقة وموروثها النحتيّ، في محاولة لتأسيس خصوصيّة الشخصيّة السوريّة الحديثة لفنّ النحت، وربّما – بنفس الوقت - هرباً من الرقابة أوّلاً، عندما كانوا يطرحون مفاهيم مثل الحرّية، وكذلك تفادياً لتنفيذ ما تريده السلطة من مواضيع التمجيد العقائديّ، وتأليه القائد، وعلى رأسها صناعة تماثيل (أبو راس) كما كان يسمّيه بعض الفنّانين، ومنهم: مظهر برشين، محمّد بعجانو، وأكثم عبد الحميد.

أنشأت الجهات الرسميّة ملتقيات للنحت في منتصف التسعينيّات، تحت هدف معلن تجميل الساحات والحدائق والشوارع، تقام بشكل دوريّ، وتقدّم فيها الخامات والأمكنة اللازمة للعمل، وبحسب شهادات من شارك فيها من النحّاتين، فهي لم تحقّق الأهداف المزعومة من تفاعلات مع التجارب العالميّة أو تشجيع للثقافة البصريّة، وذلك بسبب العقليّة المتحكّمة بالثقافة عموماً، والتي تسعى لتوجّهها لصناعة تماثيل لحافظ الأسد، واعترف الفنّانون بأنّ فنّ النحت تحوّل إلى تعهّدات ومقاولات، وفقد الاهتمام بالجوانب الفنّيّة والتعابير الجماليّة، إذ صار إلى عمليّة تجاريّة مفرّغة من المحتوى الإبداعيّ. ووصف أحد هؤلاء المشاركين الوضع بأنّه: «متردٍّ» وأنّ «الفراغ الثقافيّ السائد، نتج عن الخلط بين الإبداع والفعل المنبثق عن وجدان الإنسان وقيمه الجماليّة والأخلاقيّة، وبين الادّعاء الذي يفتقر إلى الفكر والتقنية معاً». وأرجع الفنّانون ذلك إلى أنّ: «هذه الملتقيات النحتيّة اعتمدت أسلوب الانتقاء المزاجيّ والانتفاعيّ، وتقلّصت النزاهة لدى لجان التحكيم بسبب انتماءاتهم الفكريّة ومناهجهم النقديّة، ما دفع النحّات إلى الاستسهال والابتذال».

والحقيقة أنّ من يحبّ العمل أمسى أمام خيارين: إمّا أن ينفّذ ما يريده المسؤولون عن الملتقيات أو أن يجلس منزوياً. إلّا أنّ هنالك استثناءً في بعض التجارب الخاصّة المستقلّة، ومثال ذلك، سعي الممثّل الفنّان «فارس الحلو» بجهوده الفرديّة ونجاحه في تأسيس ملتقى النحت الأوّل في «مشتى الحلو» في صيف 2006، بل وأتبعه بالملتقى العالميّ الثاني باسم «جمال الحبّ». وقد ضمّ هذان الملتقيان تجارب لنحّاتين عالميّين معروفين، وكذلك محلّيّين، لم يصنعوا تماثيل حسب التوصيات للقائد (الخالد) أو للابن (الوريث).

اللجنة التي شُكّلت برئاسة النائب – النائبة للوريث، فقد قامت بتصنيف التماثيل إلى صالح للعرض أو لا، وتمّ تجميع ما اعتُبر فيه أخطاءً فنّيّة، ووضع في مستودعات. في المدن المحرّرة، كان الشعب السوريّ يُسقط تماثيل حافظ الأسد، فور وصوله إلى الساحات الرئيسيّة، كما في درعا والرستن والرقّة وإدلب وغيرها، وركلها الشبّان السوريّون، ودحرجوا الرأس، وقام رجل من مدينة الرقّة يدعى «أبو طه» بالتبوّل على رأس تمثال المقبور (أبو راس)، وثُقّت كلّ هذه اللحظات، كما يحدث في مدن العالم عند تبدأ الديكتاتوريّات المستبدّة بالسقوط.

هامش:

***القَتَب: ما تحوّى البطن، مِعىً. فتندلق أقتابه [حديث]: تخرج أمعاؤه متدلّية من بطنه وهو الرجل من أهل النار. (معجم المعاني الجامع).**

**** من كتاب «تاريخ النحت المعاصر في سوريا»، تأليف: الناقد عبد العزيز علّون.**

رماد الطفولة

غادرت ألعابها المبعثرة في الغرفة، واتجهت مسرعة صوب والدتها في المطبخ، وهي تنادي: أمي قد جاء بائع المعروك. كانت والدتها غارقة بين أواني الطبخ، فالوقت يجري مسرعاً، ولم يتبق الكثير لأذان المغرب، ويجب عليها تجهيز الطعام، ففي رمضان تتغير طقوس العائلة، ولكن رغم انشغالها لم ترغب في خذلان طفلتها ذات الأعوام الأربعة، لأن المعروك من ضمن شعائر رمضان لدى الناس.

غادة باكير

غسلت يديها، وهي تخاطب صغيرتها: اشتري من البائع وادخلي بسرعة فالقناص كما تسمعين يا صغيرتي لم يتوقف عن إطلاق الرصاص. مدت يدها إلى صدرها، وأخرجت ورقة نقدية بقيمة مئة ليرة وناولتها لصغيرتها

كانت خصلات شعرها المبعثرة تغطي وجهها، وقد ارتسمت ابتسامة فرح على ثغرها حين أمدتها أمها بالمال، التفت لتغادر المطبخ وتلحق بالبائع لكن يد أمها استوقفتها، ورفعت لها الشعر عن عينيها، وطبعت قبلة على جبينها وهي تقول: حاذري يا صغيرتي.

غادرت الصغيرة المطبخ، وركضت صوب باب المنزل، وبيدها المئة ليرة فتحت الباب مسرعة، وهي تنظر صوب الإذاعة على يمينها حيث يتمركز العديد من القنا صين، ويشرفون على كافة شوارع سراقب من كل الجهات

بحثت بعينيها عن البائع، الذي مازال صوته يصل لأذنيها، وهو يترنم بكلماته التي يمدها بطريقة موسيقية مغرية للشراء

تازة وسخن يا معروووووك

كان صوت بائع المعروك يرن في أذنيها، أعلى من صوت رصاص القناصة، فلحقت به وهي تصرخ:توقف.. توقف..

ويدها مازالت تطبق على ثروتها الصغيرة، وقد زادت من سرعة ركضها حين انحرفت خطوات البائع، ليدخل في الشارع الفرعي

لم تكن الصغيرة تعلم أن هنالك عين تراقبها، منذ غادرت باب منزلها، وأن لعابه بدأ يسيل وكأنه ذئب بشري قد وجد فريسته، وقال:متحدياً لمن يجلس بجواره أتراهن أنني أستطيع إصابة هذه الصغيرة في ظهرها، وهي تركض ضحك الآخر قائلا:أراهنك

وضع كل تركيزه الوحشي على فوهة قناصته، وهو يتابع الصغيرة التي أصبحت الآن في مرمى نيرانه، وقد التفت صوبها البائع وقفل عائداً باتجاهها، وهو ينزل كرتونته من على رأسه ليبيعها، وهنا تباطأت قليلاً وقد أنهكها الجري خلفه، حين شاهدته وقد عاد إليها، لم تكن تشعر بتلك النقطة الحمراء المتمركزة على أسفل ظهرها، وما هي إلا ثانية واحدة حتى انطلقت الرصاصة من مخزنها، لتشق الهواء وتستقر في ظهرها تقدمت الصغيرة بخطوتين حارقتين مؤلمتين، دون أن تدرك ما حدث وحين سقطت على الأرض، كان البائع قد رمى كرتونته، وركض محتمياً بالجدار المجاور له وهو يصرخ:لقد أصيبت يالله.. يالله.. لقد أصيبت.

في الشارع الفرعي وبعيدًا عن أعين القناصة، كان البعض من رجال الحي يجلسون على أبواب منازلهم، في محاولة منهم لإضاعة ما بقي من وقت للمغرب، وهم يتحدثون عن قرف القنا صين، الذين يكبلون حركتهم في الشوارع، وتعرضهم لخطر الموت في كل حركة، هب الجميع واقفين مذعورين، حين سمعوا صراخ الغلام بائع المعروك، وتراكضوا مسرعين صوب الجدار الذي يقف بجواره، وهو يصرخ ويبكي لقد سقطت البنت الصغيرة، كانت ملقية على الأرض، وهي ما تزال تطبق راحتها على المال، ووجهها للأرض، وقد شعرت بشيء ساخن يجري على ظهرها، لم تكن تشعر بالألم، ولكنها تعجز عن النهوض، لقد اتسخ ثوبها مما يعني أن والدتها ستوبخها.

حاول احد الشبان التقدم إليها لحملها، إلا أن القناص كان يطلق الرصاص نحوهم، ويمنعهم من الاقتراب.

وأصبح الكل يصرخ وينادي يالله.. يالله.. وآخرون فقدوا السيطرة على أعصابهم، ونسوا صيامهم، فبدأت اللعنات والكفر تنطلق من ألسنتهم والعجز يكبل حركتهم، ويمنعهم من الاقتراب صوب الطفلة.

حدثت ضجة في الخارج، جعلت الأم تشعر بنار تحرق قلبها، وقد فقدت يديها القدرة على متابعة عملها، فخرجت من المطبخ مسرعة صوب الغرفة، لتجد ألعاب صغيرتها مبعثرة على الأرض، وهي غير موجودة هذا يعني أنها مازالت بالخارج، ركضت مسرعة صوب الباب، وهي تصرخ لا شعورياً

سدرة.. سدرة..

اتجهت من يسار الشارع، بعيدا عن أعين القناصة، فرأت الرجال والنساء والأطفال متجمهرين بالقرب من الحائط، أخذت تركض باتجاههم وهي تبكي دون أن تعرف السبب، وما إن اقتربت حتى أمسكت بها يد جارتها وهي تقول اهدئي، نظرت للمكان الذي يراقبونه، فوجدت ابنتها ملقاة على الأرض، وعاجزة عن الحركة، فبدأت تصرخ وتلطم خديها، وهي ترى الكل يقف عاجز عن الاقتراب من صغيرتها بسبب رصاص القناصة.

كانت رباب تقف باكية، وهي تراقب ابنة جارتها الملقاة على الأرض تنزف دمها، وحولها رصاص القناصة يمنع الرجال من الاقتراب، لم تعد قادرة على مواصلة بكائها الغير نافع، فتناست وجود كل هؤلاء ممن حولها وتمددت على الأرض، وبدأت تزحف صوب الصغيرة التي كانت قد فقدت وعيها، وتحولت لشبه جثة تتنفس ببطء، تابعت رباب زحفها، وأمسكت بالصغيرة من يدها الممدة بجوارها، وبدأت تسحبها صوب الجدار لتتمكن من الوقوف وحملها، كانت أنفاس من حولها قد توقفت، ولا يصل لسمعها سوى صراخ الأم وعويلها، وحين أصبحت قادرة على النهوض بعيدا عن أعين القناصة، بدأت تصرخ:أحضروا السيارة مازالت الصغيرة تتنفس فأسرع أحدهم لسيارته، ووضعها فيها مع أمها، وبدأ رحلة الموت بين رصاص القناصة، وهو يزيد من سرعته ليسبق رصاصهم القذر، وفي المشفى تم إسعاف الصغيرة التي كانت بين الحياة والموت

فتحت الصغيرة عينيها لتجد نفسها على سرير في المشفى، وبجوارها أمها الباكية، وقد حفر في ذاكرتها تاريخ هذا اليوم الأسود من رمضان 2013 ولن تنساه أبداً، لم تستطع تذكر ماحدث، كان هنالك ألم في جسدها الصغير جعلها عاجزة عن التفوه بأية كلمة، انحنت أمها فوقها لتطبع قبلة على جبينها وتبتسم لها من بين دموعها، كل ما تمكنت من تذكره أنها كانت تجري سعيدة صوب بائع المعروك، نظرت إلى يدها فلم تجد المال، فبدأت تبكي بصمت.

غادرت المشفى بعد أيام، وجملة واحد تخترق دموعها، أمي أريد أن أمشي.

والأم تخبرها ستمشين بمجرد أن يزيل الطبيب هذا الشاش، وهي تثق بأمها فهي لاتكذب، ومرت الشهور بطيئة، وهي تلتهم طفولتها بآلام لا تحتمل لكنها تنتظر اليوم الذي يزيل فيه الطبيب الشاش لتتمكن من المشي ثانية ولكن هذا الحلم لم يتحقق، فالشاش قد أزيل، والسنوات الثلاث مرت، وهي ما تزال عاجزة عن المشي، لقد أصبح عمرها الآن سبعة أعوام، وما زالت تجلس في غرفتها، وهي تمد قدميها الفاقدتين للحياة، كانت تتألم بصمت حين ترى إخوتها من حولها يمشون ويركضون، وهي عاجزة عن ذلك حتى أن رغبتها في الحديث أو الضحك أو اللعب اختفت تماما، وما يثير قلقها أنها اكتشفت كذب أمها مرتين، الأولى حين أخبرتها أن والدها سيرجع، ولكنها علمت فيما بعد أنه في الجنة بعيدا عنها، ولن يرجع أبداً، والثانية حين أخبرتها أنها ستعود للمشي. ولكنها أدركت بعد مرور السنوات أنها أصبحت مشلولة تماماً، ولن تتمكن من المشي ثانية، ورغم ذلك تصر الصغيرة قائلة لنفسها:لا أمي لا تكذب.

كانت عيون والدتها تخاطبها بدون كلمات، وكأنها تعتذر لها، لأنها كذبت عليها يوما، وأخبرتها أنها ستعود للمشي ثانية.